سياسة الخليفة هشام بن عبد الملك وأثرها في سقوط الخلافة الأموية

د/ طارق مُحَمَّد العزام د/ مُحَمَّد علي الروسان د/ نبيل علي العتوم
قسم العلوم الأساسية – كلية اربد الجامعية – جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن

المُلخَص

يهدف البحث إلى فهم وتحليل دور سياسة الخليفة هشام بن عبد الملك وأثرها على حكم الأمويين، وخاصة أن خلافة هشام أعقبها بفترة قصيرة سقوط الخلافة الأموية.

وقد توصل البحث إلى أن الخلافة الأموية واجهت مشكلات خطيرة زمن هشام – على الرغم من الهدوء الظاهري –، فكان أولها تفاقم حدة العصبية القبلية في الدولة بسبب سياسة تعيين الولاة، ثم تعاظم الدعوة العباسية التي حققت نجاحاً كبيرا وخاصة في خراسان، كما كان لثورة زيد بن علي ومقتله دور في زيادة قوة الدعوة العباسية، كذلك كان لتسلل أفكار فرقة القدرية إلى الشام زمن هشام دور في ثورة يزيد بن الوليد على الخليفة الوليد بن يزيد، والتي كان من أهم أسبابها تعمد هشام تشويه صورة الوليد بن يزيد، وقد أثرت هذه الأحداث مجتمعةً تأثيرا خطيرا على الخلافة الأموية، وخاصة في ظل إقامة هشام بالرصافة وانشغاله بأموره الخاصة، وابتعاده عن مشاكل الدولة ومتابعة تطوراتها، ما عدا متابعته أمور الخلافة المالية، الأمر الذي أدى بالنهاية لإضعاف الخلافة الأموية ومن ثم انهيارها.

كلمات مفتاحية: الخلافة الأموية، هشام بن عبدالملك، سقوط الدولة الأموية، الدعوة العباسية، ثورة زيد بن علي، الوليد بن يزيد.

مُقَدِمَةُ :

تولى هشام بن عبد الملك الخلافة بعهد من أخيه الخليفة يزيد بن عبد الملك، وقد أشارت المصادر إلى تميزه، وتميز خلافته بذكر ثناء الخليفة العباسي المنصور (ت١٥٨هـ/٧٧٤م) عليه بالقول: "ورجل القوم هشام"[(١)]، وبوصف المسعودي(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) له نقلاً عن الهيثم بن عدي (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م)[(٢)] والمدائني (ت٢٢٥هـ/٨٣٩م)[(٣)] بأنه كان من سُوَّاس خلفاء بني أمية: "إن السُوَّاس من بني أمية ثلاثة: معاوية (ت٦٠هـ/٦٧٩م) وعبد الملك (ت٨٦هـ/٧٠٥م) وهشام، وختمت به أبواب السياسة وحسن السيرة"[(٤)]، وقد تميز حكمه بالاستقرار النسبي والهدوء، الذي امتد ما يقارب عشرين عاماً، وعلى الرغم من تأكيد المصادر على حزمه وقدرته الإدارية، إلا أنها وصفته بصفات تشير إلى غلظته وشدته، فاليعقوبي (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م) يصفه بالقول: "وكان هشام من أحزم بني أمية وأرجلهم، وكان

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٧٩، ٣٧٨.

(٢) الهيثم بن عدي الطائي: كان عالماً بالشعر والتاريخ والأنساب، له عدد من المؤلفات، وصفه الذهبي بقوله: "كان إخباريا علامة"، انظر: النديم، الفهرست، ص١٥٩-١٦٠، الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٧، ص١١١-١١٢.

(٣) المدائني: أبو الحسن علي بن محمد، اتبع أسلوب المحدثين في نقد الروايات، فأصبح بذلك يتمتع بثقة أكثر من أسلافه، انظر: الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ، ص٣٩.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٣٣.

بخيلاً، حسوداً، فظّاً، غليظاً، ظلوماً، شديد القسوة، بعيد الرحمة، طويل اللسان"[٥]، ويصفه أيضا بقوله: "كان خشناً فظاً غليظاً بخيلاً، يجمع الأموال، ويعمر الأرض،...، حتى إنه يقال لم ير زمان أصعب على الناس من زمانه"[٦]، كذلك يصفه المسعودي بقوله: "وكان هشام أحول خشنا فظا غليظا، يجمع الأموال، ويعمر الأرض،...، فسلك الناس جميعا في أيامه مذهبه، ومنعوا ما في أيديهم، فقل الإفضال، وانقطع الرفد، ولم ير زمان أصعب من زمانه"[٧]، ويضيف المسعودي أيضا قوله: "شكس الأخلاق، دقيق النظر، جامعاً للأموال، قليل البذل للنوال، متيقظاً في سلطانه، سائساً لرعيته، مباشراً للأمور بنفسه، لا يغيب عنه شيء من أمر مملكته"[٨]، كذلك يصفه ابن عساكر نقلاً عن الهيثم بن عدي بالقول: "كان هشام جباراً"[٩]، وكل هذه الروايات السابقة —وإن كان بعض أصحابها ذوي ميول شيعية– فإنها تؤكد اتصاف هشام بالشدة والغلظة مع تأكيدها على قدرته السياسة والإدارية وتميزه في هذا الجانب، وهو ما يؤكده الذهبي أيضا بقوله: "فكان هشام آخرهم، وكان حريصا جماعا للمال، عاقلا، حازما، سائسا، فيه ظلم مع عدل"[١٠].

وخلافة هشام من الفترات المهمة في تاريخ الخلافة الأموية، فخلافته كانت آخر فترات حكم الأمويين هدوءاً واستقراراً، ويراها بعض المؤرخين المحدثين عهد أزمة الخلافة الأموية[١١]، والخلافة التي ضمت عوامل التفكك والانحلال وأودت بالدولة كلها[١٢]، ومن بعدها تلاحقت المصاعب والمشكلات على الدولة، ودخلت في إطار فتنة كبرى، وانقسام كبير، سرعان ما أدى بعد أقل من سبع سنوات من وفاة هشام إلى سقوط الخلافة الأموية كاملة وانهيار البيت الأموي[١٣]، وإلى هذا يشير ابن كثير في تعقيبه على وفاة هشام بن عبد الملك ونهاية خلافته بالقول: "لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني أمية، وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله، واضطرب أمرهم جداً، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحوا من سبع سنين، ولكن في اختلاف وهيج، وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم وملكهم"[١٤]، وهذا كله يدفع الباحث إلى محاولة الربط بين هذا الانهيار السريع للدولة الأموية وبين خلافة هشام، وخاصة أنهما تعاقبا ولم تفصل بينهما مدة زمنية تذكر، الأمر الذي قد يشير إلى عوامل خفية كانت كامنة في خلافة هشام، أدت إلى انهيار الخلافة والحكم الأموي، لذا جاءت الدراسة لمحاولة فهم وتحليل أثر سياسة هشام في سقوط الخلافة الأموية، وذلك باستعراض أبرز القضايا والمشكلات التي ظهرت في زمنه، وأهم نتائجها وتأثيراتها في الخلافة الأموية، ودور ذلك كله في سقوط الخلافة الأموية، وذلك باستخدام المنهج التاريخي القائم على جمع الروايات التاريخية من مصادرها الأساسية، ومن ثم نقدها ومعارضتها للوصول للصورة التاريخية الأقرب للموضوع، مع تأكيد صعوبة مثل هذه الدراسات في ظل وجود صورة نمطية عن هشام وخلافته عند عدد من المؤرخين المحدثين، وفي ضوء تعارض الأفكار والآراء حول هشام وخلافته،

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٩.
(٦) اليعقوبي: مشاكلة الناس لزمانهم، ص٢٠.
(٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢١٧.
(٨) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٢٧٩.
(٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٤، ص٢٨.
(١٠) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٥، ص٣٥٢.
(١١) هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص٤٥.
(١٢) محمد عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص١٤٠.
(١٣) عبد الحليم عويس، بنو أمية بين السقوط والانتحار، ص٣٠، ٤٥-٤٦.
(١٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٣٥٤.

سعى البحث قدر الإمكان لإبراز الصورة الأقرب لخلافته ودورها في سقوط الدولة الأموية دون تحيز أو فكر مسبق، بالاعتماد على الروايات التاريخية الموثوقة، كما يتناول البحث أبرز القضايا التي أثرت في الدولة الأموية، وأول هذه النقاط: العصبية القبلية، ثم سياسة هشام الإدارية، ثم دور ذلك في ضعف الولاء للدولة الأموية، كما يتناول البحث الدعوة العباسية، وثورة زيد بن علي بن الحسين، وظهور القدرية، وسياسة هشام مع ولي عهده الوليد بن يزيد، ثم ملامح خلافة هشام في عاصمته الرصافة.

العصبية القبلية وسياسات الولاة زمن هشام:

اعتمدت الدولة الأموية في قيامها على القبائل العربية في الشام، التي ساندت الخلافة الأموية وحافظت عليها ودافعت عنها، وخاصة القبائل اليمانية التي كان لها الدور الأهم في إعادة الخلافة للأمويين مرة أخرى بعد معركة مرج راهط، ورغم اعتماد الأمويين على اليمانية، إلا أنهم اتجهوا بسياستهم إلى عدم التعصب لطرف على حساب طرفٍ آخر، وإلى الموازنة بين القبائل(١٥)، لكن الأمر لم يستمر كما يجب في خلافة هشام بن عبد الملك، فقد بدأت ملامح العصبية بالظهور في ولايات الدولة الأهم التي ساهمت بشكل كبير في سقوط الدولة(١٦).

أولا: في العراق:

ومع تولي هشام الخلافة كانت جذوة الخلاف بين اليمانية والقيسية بادية بشكل واضح، وخاصة بعد هزيمة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة (ت١٠٥هـ/٧٢٤م) زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك، فقد عدت اليمانية هزيمة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة انتصاراً للأمويين والقيسية عليهم، وزاد هذا الشعور سوء تعامل وتصرف عمر بن هبيرة الفزاري(ت١١٠هـ/٧٢٨م) والي العراق وتعصبه للقيسية ضد اليمانية، مما دفع هشام إلى محاولة التخفيف من حدة هذا الخلاف بعزل ابن هبيرة، والبحث عن بديل غير مُنْتَمٍ للطرفين، فكان اختياره لخالد القسري، لكن خالداً لم يكن كما كان يعتقد هشام بل اتجه إلى التعصب لليمانية(١٧)، كما إن هشام وإن أراد التخفيف من حدة العصبية بتولية خالد، إلا أنه ساهم في إذكاء نار العصبية من خلال أوامره لخالد بتعذيب عمر بن هبيرة وسجنه(١٨)، مما أثار القيسية، ودفعها لمساعدة ابن هبيرة على الهروب من سجنه(١٩)، والسعي لحمايته، بإشارتها عليه أن يستجير بمسلمة بن عبد الملك، الذي كلم فيه هشام فعفا عنه وأمنه(٢٠).

وقد كان لسياسة الدولة الأموية في عزل والٍ وتعيين آخر، دور كبير في تدعيم روح العصبية القبلية بين اليمانية والقيسية، فظهر أثر هذا الصراع على لسان الشعراء، فهجا الفرزدق (ت١١٠هـ/٧٢٨م) خالداً القسري وأَمْرَ توليته العراق بقوله(٢١):

أَلَا قَطَعَ الرحمن ظهر مطيَّة
أتتنا تَخَطَّى من دمشق بخالد
وكيف يؤمّ الناس من كان أمه
تدين بأن الله ليس بواحد

فعارضه ورد عليه إسماعيل بن عمار الأسدي (ت١٥٧هـ/٧٧٣م) في أمر عزل ابن هبيرة وتولية خالد بقوله(٢٢):

(١٥) محمد خريسات، العصبية القبلية في صدر الإسلام، ص٤٦٥.

(١٦) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٠٣.

(١٧) يوسف العش، الدولة الأموية، ص٣٠٧-٣٠٩، خريسات، العصبية القبلية في صدر الإسلام، ص٥٠٨.

(١٨) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص٣٤، وانظر: خريسات، العصبية القبلية، ص٥٠٨.

(١٩) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٤.

(٢٠) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٥.

(٢١) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٦.

(٢٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٢- ٣٣.

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى

عنها أمية بالمشارق تنزع

ولم يقف الأمر على تعذيب خالد لابن هبيرة، بل أصبح الأمر سياسة عامة، فبعد تولية يوسف بن عمر الثقفي العراق قام بمحاسبة خالد القسري وحَبْسِه ومصالحته على مبلغ تسعة ملايين درهم، ولم يكتف يوسف بهذا، بل عذبه وضرب ابنه يزيد، وحبسه وإخوانه مدة ثمانية عشر شهراً[٢٣]، وقام أيضا بتعذيب عمال خالد، حتى مات عدد منهم، ومن هؤلاء العمال بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، الذي سجنه يوسف فهرب إلى هشام، لكن هشام أعاده ليوسف فعذبه حتى مات[٢٤]، وقد أدى تعصب يوسف إلى تأجيج الخصومات القبلية في العراق[٢٥].

وكان لترك هشام ولاته الجدد يعذبون الولاة السابقين الدور الأكبر في زيادة حدة الخصومات والأحقاد القبلية، وفي تقسيم الدولة لحزبين قبليين متنافسين ومتصارعين[٢٦].

ثانياً: في خراسان:

ظهرت العصبية القبلية متجلية في أوضح صورها في خراسان، فقد بدت مظاهرها في فترة مبكرة من تولي هشام الخلافة، ففي عام (١٠٦هـ/٧٢٤م) قامت حرب عصبية بين اليمانية والقيسية، انضمت فيها ربيعة إلى جانب اليمانية في خراسان؛ وذلك بسبب تباطؤ ربيعة والأزد عن المشاركة في غزو ما وراء النهر مع عامل خراسان مسلم بن سعيد الكلابي؛ وبسبب اعتداء رجال مسلم على زعماء ربيعة والأزد وإحراق دورهم[٢٧]، وبعد تولي خالد القسري العراق، عزل مسلماً عن خراسان وولى أخاه أسداً[٢٨]، وكان أسد شديد التعصب لليمانية لا يملك نفسه عن التعصب[٢٩].

ومع تولية أسد خراسان اتجه إلى سياسة عصبية لعبت دوراً كبيراً في تحريض الناس ضد الدولة الأموية، فأدت إلى تقسيم الناس فيها إلى مجموعات منفصلة متناحرة، فقد اعتدى على عدد من الزعماء المضرية في خراسان، فقام بسبهم على المنبر يوم الجمعة، واتهمهم بأنهم أهل الشغب والنفاق والفساد، ثم قام بضربهم وتجريدهم من ملابسهم، وبعد ذلك أرسل بهم إلى أخيه خالد القسري في العراق، ولم يستطع خالد أن يخفف من سوء تصرف أخيه، بل لامه على عدم قتله إياهم قائلاً[٣٠]: "ألا بعثت برؤوسهم"، ثم قام بسجنهم، لكنه عاد فأطلق سراحهم وأجازهم[٣١].

وقد كان لسوء تصرف أسد وأخيه خالد، دور في تحريض القيسية في خراسان والعراق، وإثارة شعرائها، ومن ذلك شعر عرفجة التميمي[٣٢]:

فكَيفَ وأَنصارُ الخَليفَة كُلّهُمْ

عُناةٌ وأعداءُ الخليفة تُطَلَقُ

(٢٣) المصدر نفسه، ج٩، ص٩٧، ١٠٢، ١٠٣.

(٢٤) اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص٢٢٦-٢٢٧، وانظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص٣٩٨.

(٢٥) يوسف العش، الدولة الأموية، ص٢٨٩.

(٢٦) خريسات، العصبية القبلية، ص٥١٦.

(٢٧) للمزيد من التفاصيل انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٣٠-٣٢، خريسات، العصبية القبلية، ص٥٠٩.

(٢٨) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧.

(٢٩) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص٧٩.

(٣٠) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٧-٤٩.

(٣١) انساب الأشراف، ج٩، ص٧٩.

(٣٢) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٨-٤٩.

بكيت ولم أملك دُمُوعي وَحُقَّ لي

ونصر شهابُ الْحَرْبِ في الغلّ موثقُ

ومن ذلك أيضا شعر الفرزدق الذي لام فيه سوء سياسة بني أمية بتوليتهم القسريين خالد وأخيه أسد[٣٣]:

أخالد لولا الله لم تعط طاعةً

ولولا بني مروان لم توثقوا نَصْرَا

إذاً لوجدتم دون شد وِثاقِهِ

بني الموت لا كُشْفَ اللقاء ولا ضُجْرا

وقد أفسد أسد بتعصبه لليمانية الناس في خراسان، فكان ذلك السبب في عزله[٣٤]، فعزل وتم تعيين والٍ قيسي مكانه، وهو أشرس بن عبد الله السلمي، في محاولة للتخفيف من أثر العصبية، وقد فرحت القيسية بهذا التعيين، لكن أشرس لم يتعصب لأحد وانتهج سياسة محايدة مع العرب في خراسان، وعلى الرغم من حسن سياسة أشرس، إلا أنه عزل وولي الجنيد بن عبد الرحمن المرّي مكانه[٣٥].

وعلى الرغم من عدم توجه أشرس للعصبية، إلا أن سياسته الاقتصادية لعبت دوراً في إثارة الناس من السكان المحليين، فقد لجأ إلى إسقاط الجزية عمن أسلم، بعدما أرسل دعاة وكان على رأسهم أبو الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة يدعونهم للإسلام ولإسقاط الجزية عنهم، ولكن أشرس بعد إسلامهم سرعان ما أعاد الجزية عليهم بسبب انكسار الخراج، الأمر الذي أثار موجة من السخط بين السكان، وبين الدعاة الذين تولوا دعوة الناس للإسلام كأبي الصيداء وأصحابه، خاصة بعد أن أسلم عدد كبير من الناس من أهل سمرقند وما وراء النهر، فما كان من عامل أشرس على حرب سمرقند، إلا أن غدر بأبي الصيداء وأصحابه وقام بحبسهم، ثم لجأ عمال أشرس إلى التشدد في جمع الجزية من الذين أسلموا، واستخفوا بزعماء العجم والدهاقين فجرى تعذيبهم، وإيقافهم بالشمس وتمزيق ثيابهم[٣٦]، الأمر الذي أدى إلى نشر روح الثورة عند هؤلاء المسلمين الجدد، والفقهاء والدعاة، مما لعب دورا في تطور بوادر ثورة كبرى تسعى للقضاء على الحكم الأموي نهائياً[٣٧]، ورغم أهمية الأمر وتأثيره في الدولة، فلم يكن لهشام موقف من إعادة فرض الجزية على من أسلم، كموقف الخليفة عمر بن عبد العزيز الحازم والرافض لهذا الأمر من قبل.

ولم تستطع سياسة الدولة الأموية في تعيين الولاة أن تفرض حالة من التوازن بين اليمانية والقيسية في خراسان، بل على العكس من ذلك فقد أدت سياستها إلى تأجيج أحقاد العصبية بين القبائل[٣٨]، بسبب تقلبها ما بين والٍ قيسي تارة ويماني تارة أخرى، فبعد عزل الخليفة هشام لأشرس بن عبد الله السلمي (ت١١٢هـ/٧٣٠م) عن خراسان، ولى الجنيد بن عبد الرحمن المري الذي لم يكن ذا قدرة سياسية، فاتجه الجنيد إلى التعصب للمضرية، فلم يستعمل في ولايته إلا مضرياً[٣٩]، فساءت علاقته بالقبائل

(٣٣) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص٧٩، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٨-٤٩.

(٣٤) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٧، ٤٩، ويشير الطبري لذلك بقوله: "وكان سبب ذلك أن أسداً أخا خالد تعصب حتى أفسد الناس".

(٣٥) خريسات، العصبية القبلية، ص٥١٠.

(٣٦) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٤-٥٦.

(٣٧) عبد الله الخطيب، الحكم الأموي في خراسان، ص١٣٣، ١٣٦، ١٣٧-١٣٨.

(٣٨) يوسف العش، الدولة الأموية، ص٢٩٢، خريسات، العصبية القبلية، ص٥١٠، عبد الحليم عويس، بنو أمية بين السقوط والانتحار، ص٧٥.

(٣٩) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٩.

اليمانية على الرغم من اعتماده عليهم في قتال الترك[٤٠]، وكان لقلة خبرته وعدم درايته العسكرية دور مهم في هزيمة المسلمين أمام الترك بقيادة غوزك، وفي تكبيدهم خسائر كبيرة[٤١]، وهذا يؤكد أن سياسة هشام لم تعتمد في اختيار الولاة على قدراتهم وخبراتهم العسكرية، بل كانت تقوم على أساس التخالف العصبي بين الولاة[٤٢]، وبعد الجنيد ولى هشام عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي سنة (١١٦هـ/٧٣٤م) ، فلجأ عاصم لتعذيب عمال الجنيد[٤٣].

وفي سنة (١١٧هـ/٧٣٥م) قام هشام بعزل عاصم، بعدما أرسل عاصم كتاباً ينصح فيه الخليفة بضم خراسان لولاية العراق؛ لذلك ضُمّت خراسان للعراق وعُزِل عاصم، فولى خالد القسري أخاه أسداً عليها مرة أخرى[٤٤]، وبعد تولي أسد خراسان قام بحبس عاصم بن عبد الله، وحاسبه على نفقاته وأخذ منه مئة ألف درهم[٤٥]، وقد استثارت إعادة تولية أسد الناس، لما عرف عن تعصبه لليمانية وسوء سياسته من قبل؛ الأمر الذي دفع الكميت (ت١٢٦هـ/٧٤٣م) إلى أن يكتب شعراً ويرسله لأهل مرو، يحرضهم فيه على الثورة على الدولة الأموية التي برأيه لم تحاول قط تغيير سياستها لإنصاف الناس، بل إنها تعود إلى سياستها السابقة دونما تغيير، حيث لم يعد هنالك مجال للتغيير إلا بالقضاء عليها بقوله[٤٦]:

وَإلاَّ فارفَعُوا الراياتِ سُوداً
على أهلِ الضلالَةِ والتَّعَدّي
فَكَيْف وأَنتُمُ سَبْعُونَ أَلْفاً
رَماكُمْ خالِدٌ بِشبِيه قِرْدِ

وفي شعر الكميت هذا دعوة صريحة للانضمام للدعوة العباسية بقوله ارفعوا الرايات سودا، مما يشير إلى قوتها وتغلغلها بين الناس حتى أصبحت ملجأهم للتخلص من الحكم الأموي، وبعد تولي أسد خراسان ولايته الثانية، عاد مرة أخرى إلى التعصب لليمانية، وكان لتعصبه لليمانية دور في إطلاق سراح كبار الدعاة العباسيين، منهم سليمان بن كثير الخزاعي (ت١٣٢هـ/٧٥٠م)، ومالك بن الهيثم الخزاعي (ت١٣٧هـ/٧٥٤م)، وموسى بن كعب التميمي (ت١٤١هـ/٧٥٨م)، بعد أن تم القبض عليهم في خراسان، ويؤكد الطبري أن أسداً لم يلتفت قط للتهم التي وجهت إليهم، والتي شدد على ذكرها ابن شريك بن الصامت الباهلي، بل صم أذنيه عنها وتعصب لليمانية فأطلق سراحهم[٤٧]، وهو بهذا ساعد على تقوية الدعوة العباسية، وإضعاف الدولة الأموية، دون أن يدري تبعات تصرفه[٤٨]، وخاصة أنه أطلق سراح زعماء حركة الدعوة العباسية، فكلهم كانوا من النقباء الاثني عشر للدعوة العباسية[٤٩]، ولم يتوقف أسد بأفعاله عند هذا الحد، بل اتجه لقتال الحارث بن سريج، وسعى لملاحقة مناصريه وتشدد في تعامله معهم، فبعد احتلاله القلعة التي كانت مركز الحارث وأصحابه، من قبل قائده جديع الكرماني

(٤٠) المصدر نفسه، ج٧، ص٧٣، ٧٤.

ا(٤١) انظر التفاصيل: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٧٦-٧٧.

(٤٢) خريسات، العصبية القبلية، ص٥٠٩.

(٤٣) الطبري، ج٧، ص٩٤.

(٤٤) المصدر نفسه، ج٧، ص٩٩.

(٤٥) المصدر نفسه، ج٧، ص١٠٤.

(٤٦) المصدر نفسه، ج٧، ص٩٩- ١٠٠.

(٤٧) للمزيد من التفاصيل انظر: الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٧-١٠٨.

(٤٨) خريسات، العصبية القبلية، ص٥١٤، نقلا عن اليعقوبي: البلدان، ص٦٧.

(٤٩) ابن حبيب، المحبر، ص٤٦٥، مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص٢١٦-٢١٧.

(ت١٢٩هـ/٧٤٦م)، قام بقتل المقاتلة في القلعة من أتباع الحارث، فقتل بني برزي التغلبيين، وسبى أهلها من العرب والموالي وباعهم في سوق بلخ[٥٠]، كما عمد الكرماني بأمر من أسد إلى صلب أربعمائة رجل، وقطع أيدي وأرجل بعضهم[٥١]، وقد كان لكل هذه الأفعال الانتقامية والتمثيل في الجثث وصلبها، وبيع النساء والأطفال بسوق بلخ، دور في إثارة حنق الناس على الدولة ومضاعفة العداء لها، وخاصة أن معاقبة أهالي الثوار أمر لم يتجه إليه الأمويون من قبل، فقد حرص الأمويون أشد الحرص على عدم التعدي على نساء وعائلة الثوار، فقد توعد الحجاج جند الشام بعد هزيمته ابن الأشعث في الزاوية، من يدخل على نساء البصرة بالقتل[٥٢]، كذلك حرص الأمويون بعد مقتل يزيد بن أبي صفرة على حماية نساء آل المهلب بتوكيل جماعة بحمايتهن، ومنع التعرض لهن وما يملكن[٥٣].

وفي سنة (١٢٠هـ/٧٣٧م) توفي أسد في خراسان، فاستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهراني، لكن هذا الاستخلاف لم يعجب هشام، فولاها نصر بن سيار الليثي الكناني (ت١٣١هـ/٧٤٨م)، وكان نصر يتميز بكثير من الصفات الإدارية، لكن عصبيته لقيس سيطرت عليه، فلم يستعمل إلا مضرياً[٥٤]، ولم يول يمانياعملاً له، وكان لتعصبه هذا دور في ازدياد انتشار الدعوة العباسية ما بين اليمانية، وفي تحولهم لمساندتها كردة فعل على سياسة نصر العصبية[٥٥]، وقد كان للعدد الكبير من الولاة الذين تولوا خراسان على اختلاف نزعاتهم القبلية، مع عدم خبرتهم في شؤون الحكم والإدارة، دور في بث بذور الخلاف بين العرب في خراسان[٥٦].

كذلك عانت الدولة الأموية في جانبها الغربي من العصبية القبلية[٥٧]، فعندما ولى هشام بشر بن صفوان الكلبي على المغرب، تعصب لليمانية أشد التعصب، وبعد وفاته (أي بشر) ولى هشام مصر عبيد الله بن الحبحاب (ت١٢٣هـ/٧٤٠م)، والذي سعى لزيادة عدد القيسية فيها بعد ما رأى قلتهم في مصر، فطلب من هشام إحضار عائلات قيسية من البادية وتوطينها، مما أدى إلى زيادة العصبية القبلية في مصر[٥٨]، كما قام هشام بتولية إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن السُّلمي، وكان من غلاة القيسية فتعصب على بني كلب هنالك وتحامل عليهم[٥٩]، فأرسل أبو الخطار الحسام بن ضرار برسالة لهشام[٦٠]:

أَقادَتْ بنو مروانَ قَيْساً دِماءَنا
وفي الله إنْ لَمْ تَعْدِلوا حَكَمٌ عَدْلُ
كأَنَّكُمُ لَمْ تَشْهَدوا مَرْجَ راهِطٍ
مَنْ كانَ ثَمَّ لَهُ الفَضْلُ

كما ازدادت العصبية القبلية أيضا في كل من إفريقية والأندلس، ولعبت دوراً كبيرا في التأثير في المسلمين في الأندلس[٦١]، فكان لانشغال العرب بالعصبية القبلية أن

(٥٠) الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٩-١١٠.

(٥١) المصدر نفسه، ج٧، ص١١١.

(٥٢) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٢٩.

(٥٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٣٤.

(٥٤) الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٨.

(٥٥) خريسات، العصبية القبلية، ص٥١٤.

(٥٦) العش، الدولة الأموية، ص٢٩٢، ٢٩٨.

(٥٧) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٠٣ -٢٠٤، ٢٠٥، محمد عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص١٤٢.

(٥٨) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص ١٥١-١٥٢، خريسات، العصبية القبلية، ص٥٢٠.

(٥٩) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٠٤.

(٦٠) البلاذري، انساب الأشراف، ج٦، ص٢٧٧.

(٦١) محمد عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص١٤٠-١٤٢.

افسح المجال لفلول القوط لتثبيت أقدامهم ونهضتهم مرة أخرى لمنازعة العرب في الأندلس[٦٢].

وقد كان لسياسة هشام في تبديل الولاة بين والٍ قيسي تارة ووالٍ يماني تارة أخرى، دور كبير في اضرام نار العصبية بين القبائل، الأمر الذي أدى في النهاية إلى زيادة حنق وغضب القبائل تجاه الدولة الأموية، فولد حالة من الكره للدولة ولكل من يمثلها، وتجلت بأبرز صورها بعد خلافة هشام بن عبد الملك، وساهمت بسرعة سقوطها، ولم تبق العصبية القبلية مقتصرة على سياسات الولاة، بل تأثرت سياسات هشام بها.

سياسة هشام الإدارية والعصبية القبلية:

بدت العصبية القبلية متجلية في زمن هشام على الرغم من سياسة هشام في تبديل الولاة[٦٣]، ولم تقتصر مظاهرها على الولايات والأمصار، بل بدت واضحة في حاشية هشام في أكثر من صورة، منها المفاخرات القبلية بين خالد بن صفوان التميمي والأبرش الكلبي[٦٤]، بل تخط ذلك لأكثر من مظهر للتناحر القبلي، دون أن يبدو لهشام موقف واضح منها، ومن ذلك اعتراض عمر بن يزيد بن عمير الأسيدي (ت١٠٩هـ/٧٢٧م)[٦٥] على هشام على اليمانية وطاعتهم بحضور خالد القسري – في الوقت الذي أراد به تولية خالد العراق– متهماً اليمانية بأنها أساس كل فتنة في الإسلام[٦٦]، ومنها أيضا محاولات الأبرش الكلبي ورجال خالد القسري الإيقاع بعمر بن هبيرة بعد عفو هشام عنه وإعطائه الأمان[٦٧].

كما كان للصراعات في بلاط هشام دور في تغير موقفه من خالد القسري، ومن ثم عزله عن ولاية العراق، وإلى ذلك يشير نبيه عاقل بالقول بأنه كان لتضافر أشراف قريش والقيسيين ضد خالد دور في إخافة هشام من خالد، وبالتالي دفعه لعزله عن العراق[٦٨]، كما كان لنقد خالد سعي هشام لتولية ابنه مسلمة ولاية العهد، دور في غضب مسلمة منه فأرسله إليه شعراً بعد وفاة أخيه أسد يهجوه به وأخيه[٦٩]:

أَراحَ مِن خالدٍ وأَهلكه

ربٌّ أَراح العبادَ منْ أَسدِ

كذلك لعب حسان النبطي دور مهم في عزل خالد، فهو من حرض هشام على خالد[٧٠]، وهو من جاء بصناديق أعمال ووقائع خالد حتى عزله هشام[٧١]، كما يورد البلاذري رواية عن الهيثم بن عدي تشير لدور حاشية هشام وخدمه في التحريض على خالد القسري، بتعريض

(٦٢) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٠٤.

(٦٣) إبراهيم زعرور، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، ص١١٦.

(٦٤) انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٢٨٤، ج٤، ص١٣٥.

(٦٥) عمر بن يزيد الأسيدي التميمي: أحد الفصحاء، ولي وأبوه قبله شرطة البصرة للحجاج بن يوسف، انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٥، ص٣٨٧.

(٦٦) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص٣٢، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٧.

(٦٧) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص٣٧، خريسات، العصبية القبلية، ص٥٠٨، الأبرش: بن الوليد بن عبد عمرو الكلبي، أحد الفصحاء من أصحاب هشام، وكان من أحسن الناس حديثا وعقلا وعلماً، انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧، ص٢٩٥، ٢٩٨.

(٦٨) نبيه عاقل، تاريخ خلافة بني أمية، ص٣١١.

(٦٩) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢١٠.

(٧٠) المصدر نفسه، ج٧، ص١٤٣، وانظر: البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص، ٩٩، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٦، ص١٦١، مؤلف مجهول، تاريخ الخلفاء، (مخطوط)، ص٤٠٩.

(٧١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢٦.

أحد خدم هشام بخالد، لأنه (أي خالد) نسي وصله بعدما أرسل بهدايا إلى أولاد هشام وحاشيته[٧٢].

وما يؤكد أن قرارات هشام تأثرت بالأقاويل، شدة غله ورغبته في الانتقام من خالد القسري بعزله وتوليته يوسف بن عمر، فتجمع المصادر على رغبته الكبيرة في الانتقام من خالد القسري، فقد أورد الطبري عن المدائني نص كتاب هشام بتولية يوسف العراق بقوله: "أن سر إلى العراق فقد وليتك إياه، وإياك أن يعلم بذاك أحد، وخذ ابن النصرانية وعماله فاشفني منهم"[٧٣]، وما أورده الطبري أيضا عن المدائني بأن يوسف بن عمر خطب بعد توليه الكوفة بقوله: "إن أمير المؤمنين أمرني بأخذ عمال ابن النصرانية، وأن أشفيه منهم"[٧٤]، ويؤكد البلاذري برواية عن المدائني أيضا محاسبة يوسف كل عمال خالد القسري وكانوا ثلاثمائة وخمسين، وأنه صادر منهم تسعين مليون درهم[٧٥]، ثم إن هشام بعد عزله خالداً القسري أخذ يبدي ندمه على ذلك ويشيد به – في رواية عن المدائني أيضا– من خلال الحديث الذي دار بينه وبين خالد بن صفوان التميمي، ويذكر خالد دخوله على هشام بقوله: "فلما دخلت عليه استدناني، حتى كنت أقرب الناس إليه فتنفس الصعداء"[٧٦]، ثم قال: "يا خالد، لَرُب خالد جلس مجلسك، كان أحب إلي منك — يعني خالد بن عبد الله القسري–"، قال: فقلت: "يا أمير المؤمنين، لو تفضلت عليه بصفحك وتغمدته بحلمك؟" فقال: "إنَّ خالداً أدلَّ فأمِلَّ، وأوْجَفَ فأعجف، فسكت"[٧٧]، ثم أكمل قائلا: "يا ابن صفوان ما بدأني قط بحاجة منذ قدم العراق حتى أكون أنا الذي أبدؤه بها"، فرد عليه خالد بقوله: "ذلك أحرى أن تعيده"، فأجابه هشام بقوله: "إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل"[٧٨].

كما يلاحظ عدم وجود سياسة واضحة لدى هشام في الاختيار والعزل، فقد عزل هشام أشرس بن عبد الله السلمي عن خراسان وولاها الجنيد بن عبد الرحمن مع قلة خبرته السياسية والعسكرية، لإهدائه (أي الجنيد) قلادتين من الجوهر له ولزوجته أم حكيم بنت يحيى بن الحكم وذلك وفق رواية المدائني[٧٩]، دون أن يكون هناك سبب واضح لعزل أشرس، على الرغم من تميز حكمه، ورضى الناس عنه وترحيبهم بولايته[٨٠]، مع قلة خبرة الجنيد[٨١]، والذي يذكره الصفدي بقوله: "ولكنه لم يحمد في الحروب"[٨٢].

كذلك فقد قام هشام بعزل الجنيد بن عبد الرحمن عن خراسان، لأنه تزوج بالفاضلة بنت يزيد بن المهلب، وولى مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي، وأمره إن أدرك الجنيد –وكان مريضاً– أن يقتله، لكن عاصماً وصل خراسان وقد مات الجنيد[٨٣]، وهذا أمر يشير إلى أن هشام لم يستطع أن يتخطى ثورة يزيد بن المهلب واليمانية كما فعل أسلافه معاوية وعبد الملك من قبل، وفي ولاية عاصم على خراسان خرج الحارث بن سريج التميمي

(٧٢) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٤١٢.

(٧٣) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص١٤٩.

(٧٤) المصدر نفسه، ج٧، ص١٥١.

(٧٥) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص١٠٩.

(٧٦) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٩٢، رواية المدائني.

(٧٧) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٤١٢، رواية المدائني.

(٧٨) مجهول، تاريخ الخلفاء، ص٤١٣–٤١٤.

(٧٩) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٧

(٨٠) المصدر نفسه، ج٧، ص٥٢

(٨١) انظر: الطبري، تاريخ، ج٧، ٧١–٧٣.

(٨٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٥٨.

(٨٣) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٣٤٢.

(ت١٢٨هـ/٧٤٥م) على الدولة الأموية، فانقسمت المضرية إلى قسمين القيسية مع الوالي عاصم، وتميم مع الحارث، وقد استطاع عاصم أن يقاتل بأهل مرو الحارث[٨٤]، كما اتضح من العرض السابق لم تستطع سياسة هشام من الحد من العصبية، الأمر الذي أثر في قدرة الدولة في المحافظة على ولاء القبائل.

ضعف الولاء للدولة الأموية:

كان لسياسة التبديل بين الولاة من اليمانية والقيسية دور في تأليب القبائل العربية المقاتلة على الدولة وعلى سياستها، حتى لم يعد لجند الدولة الأموية من العرب أية دافعية تدفعهم للقتال والدفاع عن الدولة، فاقتصر التأييد والاعتماد على الجيش الشامي فقط[٨٥]، وقد بدا هذا الأمر واضحا في خراسان بعد رفض أهل مرو قتال الحارث بن سريج مع والي خراسان عاصم بن عبد الله، ما اضطره (أي عاصم) إلى الخروج إلى أبرشهر حيث قومه؛ لينتظر مدد الخليفة من الجند الشامي، لكنه عاد وقاتل الحارث بأهل مرو، بعد أن أخذ منهم الأيمان والعهود وأيمان الطلاق، ودفع لهم الأموال، وخاصة أن كثيرا من العرب ساند الحارث في ثورته ولا سيما قبيلتي تميم والأزد[٨٦].

كما اتضحت زمن هشام حالة من ضعف ولاء القبائل العربية وحماستها للدولة، فوصلت أحيانا حد الاضمحلال؛ لأن الدولة برأي القبائل لم تعد تقدر دورهم في الدفاع عن الأمويين وخلافتهم، وبرز هذا الموقف عند تصالح عاصم بن عبد الله والي خراسان مع الحارث بن سريج عقب عزله عنها وتولية أسد القسري عليها، وكان الصلح يتضمن أن ينزل الحارث أي كور من خراسان أراد، وأن يكتبا جميعا إلى هشام يسألانه الحكم بكتاب الله وسنة رسوله (ص)، فإن رفض هشام كانا معاً ضده وقاما بحربه، لكن يحيى بن حُضَين الشيباني رفض أن يختم على الكتاب، معتبراً أنه كتاب خلع للخليفة هشام وإعلان حرب عليه، فرد خلف بن خليفة الأقطع (ت١٢٥هـ/٧٤٢م) على يحيى ورفضه بقوله[٨٧]:

حَفِظنا أُميةَ في مُلْـــكها
ونَخْطِرُ مِنْ دونها أَنْ تُراعَى
أَبى شَعْبُ ما بينَنَا في القديمِ
وبَينَ أُميَّةَ إلا انصِداعا
حَفِظنا أُميةَ في مُلْكها
ونَخْطِرُ مِنْ دونها أَنْ تُراعَى
أَبى شَعْبُ ما بينَنَا في القديمِ
وبَينَ أُميَّةَ إلا انصِداعا
جعلنا الخِلَافَةَ في أهلِها
إذا اصطَرَعَ الناسُ فيها اصطراعا
نصرنا أُميةَ بالمِشْرَفِيّ
إذا انْخَلَعَ الملكُ عنها انخلاعا
فَقلْ لأُميّةَ تَرْعَى لنا
أَيادِيَ لمْ نُجْزِهَا واصْطِناعا
أَتَلهِينَ عَنْ قتلِ ساداتِنا
ونَأْبَى لحقّكِ إلاَّ اتبّاعا

لكن هذا الاتفاق نقض بين عاصم والحارث وعادا إلى القتال، فقُتل فيه عدد كبير من قادة جيش عاصم، فقال رجل من عبد القيس شعراً متذمراً من القتال الدائر بين الطرفين[٨٨]:

(٨٤) خريسات، العصبية القبلية، ص٥١١، انظر: التفاصيل، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٦-٩٨.

(٨٥) هاملتون جب، دراسات في دراسات في حضارة الإسلام، ص٤٧.

(٨٦) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٦-٩٧.

(٨٧) المصدر نفسه، ج٧، ص١٠٢-١٠٣.

(٨٨) المصدر نفسه، ج٧، ص١٠٣-١٠٤.

تَوَلَّتْ قرَيْشٌ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَاتّقَتْ
بِنَا كُلَّ فَجٍّ من خُرَاسَان أغْبَرَا
فلَيتَ قُرَيشًا أَصبَحوا ذَات ليلَةٍ
يَعومُونَ في لُجٍّ من البحرِ أَخضَرَا

وهذا الشعر له دليل على حنق كبير على الدولة الأموية لما تتحمله القبائل دفاعاً عنها، حتى أنهم بدأوا بالتمني أن تزول هذه الدولة كليَّة بين ليلة وضحاها، كما بدا هذا الكره للخلافة الأموية واضحا في عدم التسامح مع جند أهل الشام باعتبارهم يمثلون سند الخلافة الأموية وركيزتها، ويتضح ذلك في موقف البهلول الشيباني (ت١١٩هـ/٧٣٧م) الخارجي في العراق، فبعد هزيمته للجيش الذي أرسله خالد القسري المكون من جند الشام وأهل الكوفة لقتاله، أمر أصحابه بتتبع فلوله وقتل الجند الشاميين وترك الكوفيين، لأنهم برأيه خرجوا مكرهين[٨٩]، وهذا يظهر نوعا من التعصب الإقليمي ما بين العراق والشام رغم اختلاف الفكر والنهج السياسي، إلا أن الجميع في العراق كان ينظر إلى الأمويين والشاميين بالمنظور نفسه، وكل ما سبق يؤكد أن الدولة الأموية بدأت في التصدع، وبدأ بنيانها السياسي والعسكري والاجتماعي بالضعف، الأمر الذي سهل نهايتها، وحقق النجاح للدعوة العباسية فيها.

الدعوة العباسية:

كانت الدعوة العباسية من أهم العوامل التي لعبت دوراً في القضاء على الخلافة الأموية، وأدت إلى وصول العباسيين للحكم، وقد لاقت الدعوة نجاحاً كبيراً في خراسان بجمع عدد كبير من المؤيدين، وليس من المبالغة القول أن خلافة هشام لعبت دوراً مهماً في استقرار وانتشار الدعوة العباسية، وخاصة في ظل غفلة الدولة عن دعاة العباسيين وعدم إدراكها خطورة الدعوة ومحاولة فهم وتتبع عناصرها، على الرغم من معرفتهم بوجودها.

وكان أول دعاة العباسيين الذين جاءوا إلى خراسان زياد أبو مُحَمَّد مولى همدان (ت١٠٩هـ/٧٢٧م)، وذلك في ولاية أسد القسري الأولى سنة (١٠٩هـ/٧٢٧م)[٩٠]، بينما يذكر الأزدي (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م) أن أول الدعاة الذين أرسلوا إلى خراسان كانوا سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م)، وأنه جرت الوشاية بهم إلى أسد فقتلهم وصلبهم[٩١]، بعد هذا تلاحق الدعاة على خراسان فاستمرت الدعوة دون أن يعيقها أي عائق، حيث لاقت رواجا كبيرا، فيذكر اليعقوبي أن سنة (١١١هـ/٧٢٩م) كانت سنة ظهور سليمان الخزاعي وبدء دعوته في خراسان، والذي استطاع أن يحقق نجاحاً في دعوته فكثر أتباعه، ثم قدم بعده بكير بن ماهان (ت١٢٧هـ/٧٤٤م) فبايعه أناس كثر على خلع بني أمية وبيعة بني هاشم[٩٢]، ويؤكد الأزدي هذا النجاح في خراسان بقوله عن سنة (١١١هـ/٧٢٩م): "وفيها فشت دعوة بني هاشم بخراسان"[٩٣]، لكن في سنة (١١٣هـ/٧٣١م) ومع مجيء مجموعة من الدعاة إلى خراسان استطاع الجنيد القبض على رجل منهم وقتله، وهُدد كل من يقبض عليه بالقتل[٩٤]، ومع هذا لم يحاول الجنيد متابعة التحري عن ماهية الدعوة، وفهم تأثيرها على الدولة، وتتبع كل عناصرها.

(٨٩) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص٢١.

(٩٠) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٩-٥٠، مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٢٠٣.

(٩١) الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٦، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٦٠.

(٩٢) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢٣.

(٩٣) الأزدي، تاريخ الموصل، ص٣٢.

(٩٤) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٨٨.

ويؤكد أن الولاة الأمويين لم يلتفتوا حقا للدعوة العباسية، ولم يدركوا خطورتها على الدولة الأموية، ما كان من أمر أسد القسري حينما قبض على عدد من الدعاة سنة (١١٧هـ/٧٣٥م)، حيث قام بقتل بعضهم، ومثل ببعضهم، وحبس عددا آخر منهم، ثم قام بعد ذلك بإطلاق سراحهم تعصبا لليمانية، كان من أبرزهم سليمان بن كثير الخزاعي وآخرون(٩٥)، وكلهم كانوا من نقباء الدعوة العباسية(٩٦).

وقد تكون أهم التطورات التي حدثت في زمن هشام انضمام أبي مسلم الخراساني (ت١٣٧هـ/٧٥٤م) إلى الدعوة العباسية، وذلك بعد دعوته هو ومولاه عيسى بن معقل العجلي، من قبل بكير بن ماهان، الذي التقى بهم في سجن الكوفة، حيث اشترى بكير أبا مسلم وعلمه، ثم أرسله إلى خراسان(٩٧)، ويضيف اليعقوبي القول أن عيسى بن معقل العجلي، وعاصم بن يونس العجلي، كانا من عمال خالد القسري الذين حبسهم يوسف بن عمر(٩٨)، وأنهم كانوا ممن استجابوا للدعاة العباسيين بعدما اجتمعوا بهم في سجن يوسف(٩٩)، وهذه الرواية دليل أكيد على انضمام كثير من عمال الدولة الأموية للدعوة العباسية بسبب سياسة الدولة الأموية في التبديل بين الولاة، والسماح للولاة الجدد بالاقتصاص من الولاة السابقين وعمالهم.

مما سبق يلاحظ أن كل ولاة خراسان، ورغم قبضهم على كثير من الدعاة العباسيين، إلا أنهم اكتفوا بسجن البعض وقتل البعض الآخر، دون أن يحاول أحد منهم فهم طبيعة الدعوة وأهدافها، وبالتالي يسعى للقضاء عليها تماماً، بل وصل الأمر بأسد القسري أن يطلق سراح الدعاة العباسيين تعصباً لليمانية، مما يدل على جهل تام بخطورة هؤلاء الدعاة والدعوة.

بل لم يقتصر الجهل بخطورة الدعوة العباسية على الولاة والعمال، بل إن الخليفة هشام بن عبد الملك نفسه لم يدرك خطورتها على الدولة، فلا تجد في المصادر أية إشارة لموقفه من هؤلاء الدعاة الذين كان يقبض عليهم دوماً في خراسان، ولا تشير المصادر كذلك إلى أي تقارير عن ذلك من الولاة للخليفة، كما يدل على عدم التفات الخليفة للدعوة العباسية، وعدم اتخاذه أية إجراءات ضدها، على الرغم من اتساعها وكبر نشاطها، والذي يشير إليه ابن طباطبا بقوله عن هشام: "وفي أيامه انبثت دعاة بني العباس في البلاد الشرقية وتحركت الشيعة خفية"(١٠٠)، بل إن الدعوة العباسية وجدت لها صدى في عاصمة الخليفة نفسها، وأبرز الأمثلة على هذه الدعاية قصة قدوم مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن عباس على هشام مع ولديه أبي العباس وأبي جعفر، وأنه عندما دخل على هشام لم يأذن له بالجلوس، ولم يصله بشيء قائلا له: "ما هذا الذي بلغني عنكم -يا بني العباس- ثم يأتي أحدكم وهو يرى أنه أحقّ بما في أيدينا منا؟! والله لا أعطيتك شيئاً"(١٠١).

ويؤكد هذه الرواية ما أورده البلاذري من قدوم مُحَمَّد بن علي على هشام، منع هشام له من الدخول عليه، وأمره

(٩٥) للتفاصيل انظر: الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٧-١٠٨، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٦٠.

(٩٦) ابن حبيب، المحبر، ص٤٦٥، مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٢١٦-٢١٧.

(٩٧) الطبري، تاريخ، ج٧، ص ١٩٨.

(٩٨) اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص٢٢٩، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٥٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٣٧١.

(٩٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٣٧١.

(١٠٠) ابن طباطبا، الفخري الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص٩٤.

(١٠١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١١٠.

بهدم فسطاطه، ورفضه وصله –رغم نصح الأبرش الكلبي باستقباله– قائلاً: "قولوا له الْحَقْ بمنزلك وانتظر دولتكم التي تتوقعونها"[١٠٢]، كما يورد البلاذري رواية أخرى، أن هشام منع مُحَمَّد بن علي من الدخول عليه قائلا: "انتظر بها دولتكم التي تتوقعونها وتروون فيها الأحاديث وترشحون لها أحداثكم"، لكن مُحَمَّد بن علي استطاع الدخول على هشام، عندها طالبه هشام بالخراج الذي كان عفي منه، وكان مئة ألف درهم، وأمر به أن يوقف في الشمس وأن يبسط عليه العذاب، لكن شيعته استطاعت أن تسدد المبلغ المطلوب منه، بتعهد عيسى بن إبراهيم أبي موسى السراج بالمال لسالم كاتب هشام، فخلي سبيل مُحَمَّد بن علي، وكان مع السراج أبو مسلم، وكانا في جيش هشام آنذاك[١٠٣].

ويضيف البلاذري في رواية أخرى أن هشام أراد حبس مُحَمَّد بن علي وولده قائلاً: "إنهم يزعمون أن الخلافة تصير إليهم؛ فقد استشرف الناس لهم"، لكن الأبرش الكلبي ثناه عن ذلك فامتنع[١٠٤]، وكل هذه الروايات تؤكد أن هشام كان على علم بوجود شبهات حول الدعوة العباسية، ورغم ذلك لم يحرك ساكناً، ولم يتخذ أي خطوة فعلية ضدها[١٠٥]، لأنه لم يكن يدرك مدى خطورتها، بل أن إشارة البلاذري السابقة تؤكد أن الجيش الأموي في الرصافة كان يضم عناصر من الدعوة العباسية[١٠٦]، وإضافة لذلك فقد ساهمت عوامل أخرى في إضعاف الدولة الأموية، كان منها ثورة زيد بن علي بن الحسين.

ثورة زيد بن علي بن الحسين:

تعتبر ثورة زيد بن علي من الأحداث المهمة التي شهدتها خلافة هشام، لما كان لها من تأثيرات على الدولة الأموية زمن هشام وما بعده، وتجمع المصادر على اعتبار هشام أحد أسبابها؛ وذلك لسوء تعامله مع زيد وحجبه عن الدخول إليه فترة طويلة، ثم استهزائه به في مجلسه، فيروي ابن سعد عن الواقدي ما حدث بقوله: "دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك، فرفع دينا كثيرا وحوائج، فلم يقض له هشام حاجة وتَجَهَّمَهُ، وأسمعه كلاما شديدا"[١٠٧]، فكان ذلك من أسباب ثورة زيد[١٠٨]، ويدلل على ذلك حديث زيد للأبرش الكلبي وسالم الكاتب بعد خروجه غاضبا من عند هشام بقوله: "إنه والله ما ترك قوم الجهاد إلا ذَلُّوا"[١٠٩]، وقوله: "ما أحب الحياة أحد قط إلا ذل"[١١٠]، ويدلل أيضا على ذلك عتاب هشام لسالم الكاتب بعدما أخبره بما جرى عقب خروج زيد من مجلسه، وذلك بعد انتهاء ثورة زيد، بقوله لسالم: "ثكلتك أمك: ألا كنت أخبرتني بذلك قبل اليوم، وما كان يرضيه إنما كانت خمسمائة ألف، فكان ذلك أهون علينا مما صار إليه"[١١١]، وكل هذه الروايات السابقة تعضد الرأي السابق في أن هشام سبب من أسباب ثورة زيد، والذي يؤكده (أي هذا الرأي) الكتبي في ترجمته لزيد بن علي بقوله: "ووفد على هشام بن عبد

(١٠٢) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٤٠٦، ج٤، ص١١٢.

(١٠٣) المصدر نفسه، ج٤، ص١١٢.

(١٠٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١١٣.

(١٠٥) عبد الشافي عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٢٠١.

(١٠٦) البلاذري، انساب الأشراف، ج٤، ص١١٢.

(١٠٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٥٠.

(١٠٨) للمزيد من التفاصيل انظر: البسوي، المعرفة والتاريخ، ج٣، ص٤٤٨، الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٦٥، ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٤، ص١١٧، ص٢٢٥.

(١٠٩) البلاذري، انساب الأشراف، ج٣، ص٤٣٣.

(١١٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٥٠، الأزدي، تاريخ الموصل، ص٤٤، ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٢٥.

(١١١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٥٠.

الملك (يقصد زيداً)، فرأى منه جفوة فكانت سبب خروجه وطلبه الخلافة"[١١٢].

ولم يقتصر دور هشام في ثورة زيد على ما ورد سابقا، بل قام هشام بإرسال زيد إلى العراق لادعاء خالد القسري أنه أودعه مالاً، بالرغم من مناشدته له بعدم إرساله[١١٣]، في الوقت الذي لم يرسل فيه بأيوب بن سلمة المخزومي لخؤولته به[١١٤]، وهشام بإرساله زيداً تناسى وتغاضى عن طموحات زيد بالخلافة، وعن ميل أهل العراق لأهل البيت، وهو أمر كان يدركه حق الإدراك، وعقب وصول زيد إلى العراق جرت مواجهته بخالد فأنكر، بعدها أمر يوسف بن عمر الثقفي بإخراج زيد من الكوفة، لكنه عندما وصل العذيب رجع إلى الكوفة بتحريض من أهلها[١١٥]، ويبدو أن عودة زيد إلى الكوفة لم تدفع عاملها للالتفات لأمر زيد واجتماع الشيعة إليه لتحريضه على الثورة[١١٦]، فلم يلتفت يوسف أو عامله لأمر دعوة زيد، بالرغم من تكرار كتابة يوسف إلى عامله على الكوفة أن يخرجه مدة أربعة أو خمسة أشهر[١١٧]، إلا أن زيداً بقي في الكوفة فترة طويلة تقارب العام الكامل[١١٨]، أرسل خلالها دعاته إلى الآفاق والمناطق يدعون فيها الناس إلى الثورة، فوصل دعاته المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان، كما وصلوا حدود الشام، فوصلت دعوته الرقة[١١٩]، لكن انكشاف أمر الثورة دفع زيداً للخروج مبكراً، مما أدى بالنهاية لفشل الثورة بمقتله.

وعلى الرغم من فشل ثورة زيد، إلا أنها كانت ذات آثار خطيرة على الدولة الأموية، وخاصة مع ما تلاها من إجراءات، كان من أهمها استخراج جثة زيد من المكان الذي دفنت فيه، ثم صلبه عرياناً مجرداً في الكوفة[١٢٠]، بأمر من هشام إلى يوسف: "أن اصلبه عرياناً"[١٢١]، كما بعث يوسف برأس زيد إلى هشام، فنصب في دمشق[١٢٢]، ثم قام بعدها يوسف بإجراءات انتقامية ضد كل من ساعد زيداً أو سانده، فقبض على أم امرأة لزيد أزدية فهدم دارها، وشق عنها ثيابها وجلدها فجعلت تقول: "ما أنت بعربي، تعريني وتضربني، لعنك الله"، فماتت تحت الضرب، فألقيت بالعراء فسرقها قومها ودفنوها، كذلك أخذ يوسف امرأة قَوّتْ زيداً وساعدته، فأمر أن تقطع يدها ورجلها، فلما قطعت يدها ورجلها ماتت، ثم ضرب عنق زوجها، كما ضرب وهدم بيوت كثير ممن ساعدوا زيداً في ثورته[١٢٣].

وقد كان لمقتل زيد ثم صلبه عريانا أثره في نفوس الناس، ودوره في توليد ردود فعل كبيرة، فرثاه عدد من

(١١٢) الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص٣٥.

(١١٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢٧.

(١١٤) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٣٤، وأيوب: هو أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد المخزومي، انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٠، ص٩٨.

(١١٥) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٨.

(١١٦) البلاذري، انساب الأشراف، ج٣، ص٤٣٣، الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٦٦

(١١٧) الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٦٧

(١١٨) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٣٥.

(١١٩) المصدر نفسه، ص١٣٥، ١٤٥.

(١٢٠) الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٨٧-١٨٩، وانظر: البلاذري، انساب الأشراف، ج٣، ص٤٤٦.

(١٢١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢١٩.

(١٢٢) الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٨٨-١٨٩

(١٢٣) البلاذري، انساب الأشراف، ج٣، ص٤٤٨.

الشعراء[١٢٤]، منهم الكميت الذي رثاه مبدياً ندمه على عدم مشاركته في ثورة زيد[١٢٥]:

دعاني ابن الرسول فلم أُجِبْهُ
أيا لهفي على القلب الفَرُوقِ

كذلك رثاه السيد الحميري (ت١٧٣هـ/٧٨٩م) بقوله[١٢٦]:

إنهم حاربوا الإلـ ـه وآذوْا محمدا
شركـوا في دَمِ المطهـرِّ زيـد تَعَنُّدا
ثم عالوه فوقَ جِذْ عٍ صريعاً مُجَرَّدا

وكان لكل ما جرى من قتل زيد ثم صلبه ونصب رأسه، دور في تقوية التعاطف مع آل البيت، ودور آخر في إعادة مأساة كربلاء باستشهاد الحسين بن علي لأذهان الناس، فأصبح هذا كله ركيزة أساسية للدعوة العباسية، وعاملا مهماً في تقويتها[١٢٧]، وفي زيادة تعاطف الناس معها وعاملا في سعة انتشارها[١٢٨]، وخاصة أنها وجدت في مقتل زيد موضوع دعاية مهماً ومؤثراً لها ضد الأمويين وخلافتهم، وهو ما يؤكده اليعقوبي في تعقيبه على ثورة زيد بن علي بالقول: "ولما قُتل زيد، وكان من أمره ما كان، تحرّكت الشيعة بخراسان، وظهر أمرهم، وكثر من يأتيهم ويميل معهم، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية، وما نالوا من آل رسول الله، حتى لم يبق بلد إلاّ فشا فيه هذا الخبر، وظهرت الدعاة"[١٢٩]، وقد حدثت ثورة زيد بن علي في فترة زادت فيها نقمة الناس على بني أمية، وانتشرت فيها الدعاية بقرب القضاء على الدولة الأموية، فكانت هذه الدعاية عاملا من العوامل التي دفعت أهل الكوفة إلى دعوة زيد للثورة بقولهم له: "إنا نرجو أن تكون المنصور، وأن يكون هذا الزمان زمان هلاك بني أمية"[١٣٠]، يضاف إلى ما سبق من الأحداث التي كان لها تأثيرها في الدولة الأموية، ظهور فرقة القدرية في الشام.

القدرية:

ومن القضايا التي واجهتها الدولة زمنَ هشامٍ نشوءُ فرقة القدرية في الشام، والتي كانت من بين أكثر الفرق حنقاً على الأمويين وخلافتهم، فقد قامت على أساس نفي القدر والجبر بالأعمال، كرد فعل معاكس على الجبر الأموي، بقولهم أن الإنسان ليس مجبراً على أعماله، وخاصة أعمال الشر منها، فالأعمال والأفعال كلها للبشر وليست لله[١٣١]، وقد ظهرت القدرية في الشام –إضافة للأمصار– وانتشرت أفكارها بين القبائل الشامية لا سيما اليمانية منها، وربما كان لسياسة الدولة الأموية في عدم قدرتها على الموازنة بين العصبيات القبلية، وانتهاجها سياسة التبديل بين ولاة قيسية ويمانية، دور في ذلك.

وقد برزت القدرية في الشام على يد غيلان الدمشقي، والذي كان كاتباً من كتاب الأمويين ومن مواليهم[١٣٢]، وولي زمن عمر بن عبد العزيز بيع خزائن بني مروان، فباع ملابس ومتاع عبد الملك والوليد، وكان خلال بيعه قد أظهر شتم وعيب سياسة الأمويين[١٣٣]، وبقي غيلان ضمن عمال الأمويين ومرافقيهم حتى زمن هشام، فيذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أن غيلان كان ممن رافق هشام بن عبد الملك في حجته سنة (١٠٦هـ/٧٢٤م)، وفي

(١٢٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٤٦-٤٤٨.

(١٢٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٣٠.

(١٢٦) الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٩٠.

(١٢٧) العش، الدولة الأموية، ص٢٩١.

(١٢٨) عاقل، خلافة بني أمية، ص٣١٧.

(١٢٩) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢٨.

(١٣٠) البلاذري، انساب الأشراف، ج٣، ص٤٣٣، وانظر: المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٤٩، ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٩٤.

(١٣١) للمزيد انظر: طارق العزام، الخطاب الأموي، ص٢٣٨.

(١٣٢) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٩٠، رواية المدائني.

(١٣٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٩٠-٣٩١.

طريق عودته في المدينة في المحرم سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م)، وكان غيلان يفتي الناس ويدعوهم إلى القدرية، حتى إنهم شكوه إلى مُحَمَّد بن كعب القرظي (ت١٠٨هـ/٧٢٦م)[١٣٤]، وقد توسعت دعوة غيلان في الشام حتى وصل الأمر إلى هشام، فقبض عليه وصاحبه صالح بن سويد أبي عبد السلام، وبعد مناظرة بين الطرفين أمر هشام بصلبهما وقتلهما[١٣٥]، ويبدو أن هذه المناظرة لم تكن إلا مناظرة شكلية لتثبيت الإدانة عليهما[١٣٦]، وقد اكتفى هشام بقتل زعيمي القدرية غيلان وصالح في الشام، دون الالتفات إلى فهم طبيعة هذه الحركة، والسعي لاتخاذ موقف حازم منها، وذلك بمحاولة اجتثاثها وخاصة أنها لعبت دوراً بعده بقليل في تفتيت البيت الأموي، وقتل الخليفة الوليد بن يزيد[١٣٧].

هشام وولي عهده الوليد بن يزيد:

كان لطبيعة العلاقة بين هشام وولي عهده الوليد بن يزيد بن عبد الملك، تأثير كبير في الدولة الأموية، وقد اتصفت هذه العلاقة بداية بإكرام هشام للوليد، واستمرار ذلك أعواما[١٣٨]، لكن هذه العلاقة سرعان ما تغيرت بعد ظهور تهاون من الوليد بالدين، فطمع هشام بعزله وتولية ابنه مسلمة، لكن الوليد رفض، فعرض عليه هشام تولية مسلمة ولاية العهد من بعده ، لكن الوليد لم يرض ذلك، الأمر الذي دفع هشام إلى جفاء الوليد والدعاية ضده[١٣٩].

فكان هشام يعيب على الوليد تصرفاته وينتقصه، حتى صار التقرب لهشام يتأتى بانتقاص الوليد وشتمه في مجلسه[١٤٠]، وقد ضيق هشام على الوليد حتى دفعه للهروب من الرصافة إلى الأزرق[١٤١]، كما وجه هشام حملة ضد أصحابه واتهمهم بالزندقة والخروج على الدين، وهي التهمة التي اتهم فيها عبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة الشيباني، والذي أرسل به إلى يوسف بن عمر فقتله[١٤٢]، وقد هدف هشام من اتهام أصحاب الوليد بالكفر إلى إلصاق التهمة نفسها بالوليد[١٤٣]، كما قطع هشام ما كان للوليد من أموال مخصصة[١٤٤]، وسعى هشام وحاشيته بكل ما أوتي من قوة إلى ترويج أحاديث تنسب إلى الرسول ﷺ تتهم الوليد بالكفر، وأنه أشد كفرا وخطراً على المسلمين من فرعون، من ذلك رواية الزهري (ت١٢٤هـ/٧٤١م)- أحد أفراد حاشية هشام المقربين والملازمين له طوال خلافته[١٤٥]- عن سعيد بن المسيب (ت٩٤هـ/٧١٢م) قوله: أنه ولد لأخي أم مسلمة غلام

(١٣٤) ابن أبي خيثمة، التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة، م٢، ص٢٢٣.

(١٣٥) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٤١٩.

(١٣٦) انظر: ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٢، ص٢١٩-٢٢٠.

(١٣٧) انظر: مضر طلفاح، القدرية، ص١٥٩-١٦٣، ١٩١-٢٤٧.

(١٣٨) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص١٢٩، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٢٠٩.

(١٣٩) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٩، وانظر: البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص١٢٩.

(١٤٠) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص١٣١-١٣٢، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢١١، ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٩٦، ج٤، ص١٠٩.

(١٤١) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٨٤، ج٩، ص١٣٣.

(١٤٢) المصدر نفسه، ج٩، ص١٣٣-١٣٥، للمزيد عن حملة هشام ضد أصحاب الوليد انظر: طلفاح، القدرية، ص٨٣-٨٤.

(١٤٣) أنظر: الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢١٠.

(١٤٤) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص١٣٦.

(١٤٥) المعرفة والتاريخ، ج١، ص٦٣٦.

فسموه الوليد، فقال رسول الله ﷺ: "قد جعلتم تسمون بأسماء فراعنتكم، إنه سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو أضر على أمتي من فرعون على قومه"، ويعقب الأوزاعي (ت١٥٧هـ/٧٧٣م) على هذا الحديث أن الناس كانت تراه الوليد بن عبد الملك، حتى رأوا زمن الوليد بن يزيد وما كان من قتله، وما أعقبه من الفتنة والقتل[١٤٦]، وهذا حديث يرويه الزهري، وهو أحد أهم جلساء هشام طوال خلافته، والذي اشترك في كثير من مجالس الطعن على الوليد، حتى أن الوليد بعد توليه الخلافة ذكر تلك المجالس ودور الزهري فيها، واشار إلى أنه لو بقي الزهري حيا لقتله: "وأيم الله لو بقي الفاسق الزهري لقتلته"[١٤٧]، وقد كان لهذه الدعاية التي بثها هشام تأثيرها الخطير على الدولة الأموية[١٤٨]، فانتشرت في أرجاء الدولة المختلفة، فهذا مولى من أهل المدينة يمدح مسلمة بن هشام بعد توليه موسم الحج، ويعّرض بالوليد متهما إياه بالزندقة والكفر والفجور بقوله[١٤٩]:

يا أيها السائل عن ديننا

نحن على دين أبي شاكر

الواهب الجُرْدِ بأرسانها

ليس بزنديقٍ ولا فاجر

وقد أحدثت هذه الدعاية ضد الوليد بن يزيد أثراً مدمراً في الدولة الأموية، وكانت سبباً وعاملاً أساسياً في سقوطها، فالصورة السيئة التي رسمها وأكدها هشام طوال فترة خلافته عن الوليد[١٥٠]، مهدت لتدمير الخطاب السياسي الأموي القائم على فكرة الاختيار الإلهي للخلفاء، مما أوجد المبرر الأهم لثورة يزيد بن الوليد والقدرية على الخليفة الوليد بن يزيد[١٥١]؛ فالتهم التي رمي بها الوليد بن يزيد من الكفر والزنا واللواط وغيرها من التهم الخطيرة، والتي أشاعها هشام بين الناس عن الوليد، لا تستقيم وخلافة الله في الأرض التي يمثلها الخلفاء الأمويون[١٥٢]، وهذا الدور الخطير لهشام يشير إليه مروان بن مُحَمَّد في رسالة تهنئته للوليد بن يزيد بالخلافة بقوله: "بارك الله لأمير المؤمنين فيما صار إليه من ولاية عباده ووراثة بلاده، وقد كانت سكرة الولاية غشيت هشام فصغر ما عظم الله من حق أمير المؤمنين ورام من الأمر المستصعب عليه الذي أجابه إليه المدخلون في آرائهم وأديانهم"[١٥٣]، بل ليس من المبالغة القول أن دعاية هشام ضد الوليد هي من غيرت مواقف الأمراء الأمويين تجاه الوليد، فيذكر البلاذري رواية عن المدائني أن يزيد بن الوليد – قائد الثورة على الوليد– كان على علاقة جيدة بالوليد، وأنه كان يكتب إليه (أي الوليد) –وهو بالأزرق– بما يتآمر به هشام عليه لعزله[١٥٤]، ومن كل ما سبق يمكن الجزم أن أحد أهم الأسباب التي مهدت للثورة على الوليد بن يزيد وقتله، الدعاية التي بثها وروج لها هشام ضد الوليد طوال فترة حكمه[١٥٥]، وأنها (أي الثورة) كانت السبب الرئيسي في إضعاف الدولة الأموية وانهيار البيت الأموي وانقسامه، وبالتالي الخلافة الأموية[١٥٦]، فمقتل

(١٤٦) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج٣، ص٤٥٠.

(١٤٧) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص١٦١.

(١٤٨) عبد الحليم عويس، بنو أمية بين السقوط والانتحار، ص٤٣.

(١٤٩) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٨٨، ج٩، ص١٣٠.

(١٥٠) طلفاح، القدرية، ص٩٨، ١٤٧، ٢٥٧.

(١٥١) العزام، الخطاب الأموي، ص٦٦.

(١٥٢) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص١٦٦

(١٥٣) المصدر نفسه، ج٩، ص١٤٧

(١٥٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٨٣-٣٨٤

(١٥٥) العزام، الخطاب الأموي، ص٦٧.

(١٥٦) للمزيد عن نتائج ثورة القدرية بقيادة يزيد بن الوليد انظر: طلفاح، القدرية، ص١٩١-٢٤٧، ٢٥٨، عبد الحليم عويس، بنو أمية بين السقوط والانتحار، ص٤٤.

الوليد كان بداية النهاية السريعة للخلافة الأموية، وتدمير لكامل الطروح الأموية التي سعوا من خلالها لتوكيد شرعية خلافتهم(١٥٧).

خلافة هشام وعاصمته الرصافة:

بدت ملامح حكم هشام واضحة منذ أن جاءه البريد بالخلافة، فقد خرج من منزله في الزيتونة إلى دمشق حيث بويع بالخلافة، لكنه لم يستقر في دمشق، بل اتجه لاتخاذ عاصمة جديدة للدولة، فكان اختياره للرصافة هرباً من الطاعون الذي كان يصيب مدن الشام(١٥٨)، وقد اهتم هشام ببناء الرصافة وتجهيزها(١٥٩)، فبنى فيها قصرين(١٦٠)، وحفر بها نهرين أيضا هما الهني والمري، واستصلح أراضي سميت باسم النهرين(١٦١)، وبنى المزارع وأنشأ الحدائق(١٦٢)، كما بنى حلبة للسباق تجري فيها الخيول ومخازن المياه، ربما مستفيدا من بقايا آثارها الرومانية السابقة(١٦٣)، وحرص هشام على أن تبقى عاصمته مركزاً ينعم بالهدوء بعيدا عن مظاهر الاضطراب والفوضى، فعندما أرسل إليه خالد القسري (ت١٢٦هـ/٧٤٣م) بصبيح الخارجي ليقتله ويصلبه في الرصافة، رفض ذلك ورده لخالد الذي قتله وصلبه(١٦٤)، وذلك خوفاً من أن يتخذ الخوارج من الرصافة دار هجرة ومركزاً للثورة.

ويبدو أنه كان للرصافة تأثير كبير في هشام وسياسته، فقد انشغل عن تدقيق وتدبير أمور الدولة، إلا الأمور الإدارية والمالية، فكانت دواوينه مثالاً في الدقة والتنظيم(١٦٥)، لكنه رغم ذلك ترك كثيراً من الأخطار التي تواجه الدولة، وانشغل بجمع واقتناء الخيول والبراذين(١٦٦)، حتى أصبحت عنده أربعة الآف فرس(١٦٧)، وقد كان يفرح كثيراً لسبق أحد خيوله، ويطلب الشعراء لتقول فيها الشعر(١٦٨).

كما اهتم هشام بالطعام فكان يطلب من عماله إرساله إليه(١٦٩)، من ذلك ما أورده الأصمعي بأنه (أي هشام) كتب إلى عامله بالطائف: "ابعث إلي من عسَل النِّدْغ"(١٧٠)، كما أمر أيضا بجمع العسل ومنع الناس منه(١٧١)، كذلك اهتم هشام باقتناء الملابس والفرش

(١٥٧) العزام، الخطاب الأموي، ص٧٠، وللمزيد عن تأثير دعاية هشام وثورة القدرية ومقتل الوليد على الطروح الأموي، انظر: المرجع نفسه، ص ٦٦-٧١، عبد الحليم عويس، بنو أمية بين السقوط والانتحار، ص٨٦.

(١٥٨) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٦-٢٠٧، رواية المدائني.

(١٥٩) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٦٨، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٥.

(١٦٠) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٧،

Theophanes: The Chronicle, Byzantine and Near Eastern History, p557.

(١٦١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢١، Theophanes, The Chronicle, p557.، الهني والمري: نهران حفرهما هشام مصدرهما نهر الفرات إلى جانب الرقة والرافقة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٨٠-٤٨١، مادة الهني والمري.

(162) Theophanes, The Chronicle, p557.

(١٦٣) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص١١٣.

(١٦٤) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص٨.

(١٦٥) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٩١، رواية المدائني، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٣.

(١٦٦) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٧٦، رواية المدائني.

(١٦٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢١٧، ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٩٢.

(١٦٨) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج١، ص١٤٣- ١٤٤.

(١٦٩) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٧١، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٤.

(١٧٠) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٢، ص٢٨٨.

(١٧١) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٧٦.

والأثاث[١٧٢]، ويشير اليعقوبي إلى ذلك بقوله: "ويستجيد كل شيء يعمل له من الكسوة والفرش"[١٧٣]، فقد بنى خزائن كثيرة، فكان في خزانته ١٢ ألف قميص[١٧٤]، وكانت حمولة دار طرازه ٩٠٠ جمل[١٧٥]، ويصف أصبغ بن الفرج[١٧٦] اهتمامه بالملابس والعطر بقوله: "لم يكن في بني مروان من ملوكها أعطر ولا ألبس من هشام، خرج حاجاً فحمل ثياب طهره على ستمائة جمل"[١٧٧]، وهذه الروايات وإن اتسم بعضها بالمبالغة لكنها لا تنفي اهتمام هشام بالطعام والأثاث والملابس.

كما أولى هشام كثيراً من الاهتمام بمظاهر الخلافة أيضا، تقليداً للموروث الساساني في الحكم[١٧٨]، فقد اهتم بالاطلاع على سير ملوك الفرس للاستفادة من التقاليد الإدارية الساسانية[١٧٩]، فكان لا يخرج إلا بموكب كبير مؤلف من ثمانمائة فارس: أربعمائة من الشرط، وأربعمائة من الحرس، ولم يكن يسمح لأحد من الناس بالسير معه في الموكب، إلا أخيه مسلمة بن عبد الملك (ت١٢٠هـ/٧٣٨م)[١٨٠].

كذلك اهتم بمجلس الخلافة، فقد كان يجلس على سرير عظيم كثير الفرش[١٨١]، ويُفَصّل خالد بن صفوان في وصفه بالقول أنه دخل على هشام، وقد ضُرب له سرادق من حبرات اليمن، مطرزة بالفضة والذهب، وضُرب له وسط السرادق فسطاط، فرشه من الخز الأحمر[١٨٢]، كذلك يصف حماد الراوية (١٥٦هـ/٧٧٢م) مجلس هشام بعد دخوله إليه بقوله: "فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام، وبين كل رخامتين قضيب ذهب، وهشام جالس على طنفسة حمراء، وعليه ثياب حمر من الخز، وقد تضمخ بالمسك والعنبر"[١٨٣].

إضافة لاهتمام هشام بالطعام واللباس والخيول، كان يحب الخلوة في عاصمته الرصافة بعيداً عن أخبار الدولة ومشكلاتها، فكان قليلاً ما يستقبل الناس[١٨٤]، وأحيانا يرفض مقابلة الوفود، ويترك ذلك للأبرش الكلبي[١٨٥]، كما فعل مع وفد البربر الذين جاءوا يشكون سوء سياسة عماله معهم، فلم يقابلهم وقابلهم الأبرش، ما دفعهم بعد عودتهم للثورة[١٨٦]، وقد كان الأبرش ينوب عن هشام في مراسلة الولاة والكتابة إليهم، فالطبري يورد قوله: "وكان هشام إذا أراد أمرا أمر الأبرش فكتب به إلى خالد(أي القسري)"[١٨٧]، وكان هشام يسمح للناس بالدخول عليه

(١٧٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢١٧، ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٩٢.

(١٧٣) اليعقوبي، مشاكلة الناس، ص٢٠.

(١٧٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٤، ص٢٧.

(١٧٥) المصدر نفسه، ج٧٤، ص٢٣.

(١٧٦) اصبغ بن الفرج بن سعيد الأموي مولاهم من أهم تلاميذ الأمام مالك بن أنس ثقة توفي سنة ٢٢٥هـ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٥٦.

(١٧٧) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٩٢.

(١٧٨) هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص٤٧، ٥٨.

(١٧٩) عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص٩٢.

(١٨٠) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٨٢-٣٨٣، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٢، مجهول، تاريخ الخلفاء ص٤٠١.

(١٨١) الطبري، تاريخ، ج٧، ص، ٢٠٤، رواية المدائني.

(١٨٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٠٥، خالد بن صفوان بن عبد الله التميمي: أحد فصحاء العرب، للمزيد انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٦، ص٩٤، الحبرة: ضرب من برود اليمن منمر والجمع حبر وحبرات، ابن منظور، لسان العرب، مادة حبر.

(١٨٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٠٨، اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص٢٥٧، دار قؤزاءُ واسعة الجوف، ابن منظور: لسان العرب، مادة قور.

(١٨٤) ابراهيم زعرور، تاريخ العصر الأموي، ص١١٦، العش، الدولة الأموية، ص٢٨٦.

(١٨٥) ابراهيم زعرور، تاريخ العصر الأموي، ص١١٦.

(١٨٦) تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٥٤-٢٥٥، رواية سيف بن عمر.

(١٨٧) المصدر نفسه، ج٧، ص٢٥٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٧٧.

ومقابلته مدة ستين يوما في السنة[١٨٨]، فكان يأذن للناس أذناً عاما فيدخلون عليه[١٨٩] من ولايات الدولة المختلفة[١٩٠]، وتلقى أمامه الخطب، وخاصة من وفود الأعراب[١٩١]، وكان هشام يكاد يرفض استقبال الناس عدا هذه الأيام لا سيما في رمضان[١٩٢]، وقد صرح هشام عن حبه الابتعاد عن أمور الدولة ومشكلاتها، وذلك بأمنيته ليوم لا يأتيه فيه أي خبر غم[١٩٣]، كما سعى هشام إلى جعل بلاطه مكاناً للمناظرات فكان شديد الولع بإقامتها في مجلسه[١٩٤].

وقد كان لترك هشام دمشق عاصمة الدولة الأموية، وإقامته في الرصافة وعدم استقباله الناس إلا في فترة محدودة، وانشغاله بجمع الأموال، واعتماده على دواوينه في تسيير سياسته، ومستشاره الأبرش الكلبي في مقابلة الناس وتبليغهم أوامره[١٩٥]، دور في جعل كثير من الأخبار تعمى عليه، وخاصة مع طول فترة خلافته، مما أثر في الدولة، وخاصة أن أسباب استقرار ونجاح الدولة زمن معاوية وعبد الملك والوليد (ت٩٦هـ/٧١٤م)، اعتمدت بشكل أساسي على استقرار الخليفة بدمشق وعدم مغادرتها إلا لفترة محدودة، أما هشام فإنه ترك دمشق نهائياً، ولم يسمع عن الدولة إلا من خلال ما يصله من تقارير عنها، ولم يفحص هذه التقارير، ولم يحاول رؤية أحوال الأمة والدولة عن قرب[١٩٦]، فلم يلتفت قط لخطورة الدعوة العباسية، كما لم يلتفت لخطورة سياسة تبديل الولاة بين يماني وقيسي على تأجيج العصبية القبلية —كما ورد سابقا–، فهشام كما يرى بعض المؤرخين المحدثين كان رجلا محبا للمال والثروة ركز على مصالحه الخاصة، ولم يلتفت كثيرا إلى شؤون الناس[١٩٧]، وكل ذلك جعل من خلافته تربة خصبة لنمو بذور سقوط الخلافة الأموية.

كذلك يبدو أن هشام بإقامته في الرصافة قطع صلاته بكثير من زعماء أهل الشام، فلم يتواصل مع زعماء وفقهاء الشام إلا من خلال المراسلة، يؤكد ذلك أنهم كتبوا إليه (أي هشام) يؤيدون رأيه في قتل غيلان، فقد كتب بذلك رجاء بن حيوة (ت١١٢هـ/٧٣٠م) [١٩٨]، وقاضي دمشق نمير بن أوس الأشعري (ت١٢١هـ/٧٣٨م)[١٩٩]، كذلك فقد كتب هشام إلى رجاء بن حيوة يطلب منه حديثا[٢٠٠]، ويدل أيضا على انقطاع الصلة بين هشام وزعماء أهل الشام سؤاله عنهم[٢٠١]، بل عمد هشام إلى

(١٨٨) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٠٧، خريسات، الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط، ص٢٧٠-٢٧١، ابراهيم زعرور، تاريخ العصر الأموي، ص١١٦.

(١٨٩) العسكري، الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، تحقيق: مروان قباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٦م، ص٩١.

(١٩٠) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٧، ص٣٠٤٧.

(١٩١) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢١، ج٥، ص١٩٤-١٩٥.

(١٩٢) انساب الأشراف، ج٨، ص٣٩٧، رواية المدائني، الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط، ص٢٧١، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، ص١١٦.

(١٩٣) تاريخ دمشق، ج٧٤، ص٢٨.

(١٩٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص١٠٥.

(١٩٥) العش، الدولة الأموية، ص٢٨٦.

(١٩٦) خريسات، الدولة الأموية، ص٢٧٢.

(١٩٧) ابراهيم زعرور، تاريخ العصر الأموي، ص١١٦.

(١٩٨) ابن أبي خيثمة، تاريخ ، م٣، ص٢٥٤، الفريابي، القدر، ص١٨٤.

(١٩٩) الفريابي، القدر، ص١٨٤-١٨٥.

(٢٠٠) أبو زرعة الدمشقي، تاريخ، ص١٦٠.

(٢٠١) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج٢، ص٤٠٤، سأل هشام بن عبد الملك: من سيد أهل فلسطين؟ قالوا: رجاء بن حيوة. قال: من سيد أهل الأردن؟ قالوا: عبادة بن نسي. قال: من سيد أهل دمشق؟ قالوا: يحي بن يحي الغساني قال: من سيد أهل حمص؟ قالوا: عمرو بن قيس السكونيّ.

قطع ما كان يجري عليهم من أموال، فقد قطع ما كان يجريه يزيد بن عبد الملك على رجاء بن حيوة، لكنه سرعان ما أعاد إليه ما كان يجري عليه[٢٠٢].

ويبدو أن هشام قد انشغل عن أمور الدولة، ولم يسع إلى التقرب من الرعية وإنصافهم من تعديات الولاة، فقد بخل على مُحَمَّد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ولم يصله بشيء[٢٠٣]، كذلك لم ينتصف لعبد الله بن عامر بن الزبير بعدما هدم إبراهيم بن هشام المخزومي(ت١٢٦هـ/٧٤٣م) داره، ولم يستجب لتظلم عبد الله بن عروة بن الزبير (ت١٢٦هـ/٧٤٣م)، من تعديات إبراهيم أيضا، ولم يرد إليه ماله الذي صودر[٢٠٤].

ومن أهم الملاحظات أيضا اتجاه هشام للتجارة، واستغلال الدولة للإثراء على حساب الناس، وحرصه على جمع المال وامتلاك الأراضي والبساتين، فيروي البلاذري عن الهيثم بن عدي قوله: "ما ندمت على شيء ندامتي على ما أهب، إن الخلافة تحتاج إلى الأموال كما يحتاج المريض إلى الدواء"[٢٠٥]، ويرى فلهوزن أن هشام كان يعتبر الدولة أرضاً خاصة له[٢٠٦]، فكان يحتكر بيع الغلات الزراعية كما يروي ابن عياش[٢٠٧]، من خلال أوامره لخالد القسري أنْ تُباع غلات أولاده أولاً، ثم أن يُسمح بعدها لباقي الغلات بأن تُباع، مما سبب ارتفاع الأسعار، واحتجاج الناس واتهامهم خالداً بأنه من يغلي عليهم الأسعار، ما دفع خالداً إلى الرد بقوله: "تزعمون أني أُغلي أسعاركم، فعلى من يغليها لعنة الله"، يقصد بذلك هشام بن عبد الملك[٢٠٨].

ولا يمكن رد الروايات السابقة فمعظمها روايات أوردها كل من البلاذري والطبري عن رواة ثقات، وإن جاء بعضها بشيء من المبالغة لكنها تدل على صورة لا تخلو من الحقيقة، فمعظم المصادر التاريخية تؤكد حب هشام للمال وسعيه لجمعه[٢٠٩]، فقد لعب المال دورا مهما في التأثير في مواقفه وخياراته، فعندما حاول الأبرش الكلبي وأصحاب خالد القسري إفساد العلاقة بينه (أي هشام) وبين عمر بن هبيرة – بعد أمان هشام له– وذلك بقيامهم بعرض مئة من الخيل أمام هشام والادعاء بأنها لابن هبيرة، الأمر الذي أغضب هشام، فما كان من ابن هبيرة إلا أن رد بالقول أنه أعدها كلها ليهديها له، الأمر الذي جعل هشام يرضى عنه ويفشل خطة المتآمرين عليه، ويؤكد البلاذري أن هذه الحادثة كانت سبب رضى هشام عن ابن هبيرة، بتعقيبه (أي البلاذري) (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) بالقول: "وكان ذلك سبب نقاء قلبه له، وانشراح صدره بالرضا عنه"[٢١٠]، ومن الأمثلة أيضا

قال: من سيد أهل الجزيرة؟ قالوا: عدي بن عدي. قال: فقال هشام: يا آل كندة!".

(٢٠٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج٢، ص٣٧٠.

(٢٠٣) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص١٠٥.

(٢٠٤) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٤١٥، عبد الله بن عروة بن الزبير: كان سيداً نبيلاً يشبه بعمه عبد الله بن الزبير، انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٣، ص٨٠.

(٢٠٥) انظر: البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٩٨، ٣٩٩، ٤١١، يوليوس فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص٣٢١، ٣٣٦، نبيه عاقل، تاريخ خلافة بني أمية، ص٣١٠.

(٢٠٦) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص٣٣٦، ابراهيم زعرور، تاريخ العصر الأموي، ص١١٦.

(٢٠٧) ابن عياش: عبد الله بن عياش (ت١٧٠هـ/٧٨٦م) الإمام العالم الصدوق أبو حفص القتباني المصري، احتج به مسلم والنسائي وقال أبو حاتم صدوق ليس بالمتين، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٣٧٨.

(٢٠٨) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص١٠٠، الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٤.

(٢٠٩) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٧٩، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٤، ص٢٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٣٥٢، ابراهيم زعرور، تاريخ العصر الأموي، ص١١٦.

(٢١٠) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص٣٧.

على تأثير المال في قرارات هشام ما أورده الطبري عن المدائني من توليته الجنيد بن عبد الرحمن المري (١١٥هـ/٧٣٣م) خراسان، بعد إهدائه هدية له ولزوجته أم حكيم بنت يحيى بن الحكم[٢١١].

كما كان المال من الأسباب الرئيسية لعزل خالد القسري عن العراق، على الرغم من كفاءته الإدارية العالية في ولايته العراق مدة خمس عشرة سنة[٢١٢]، وذلك لحسد هشام له على حيازته الأموال والضياع الكثيرة، وقد نصح خالد أكثر من مرة من قبل خاصته أن يعرض أمواله على هشام ليختار منها ما يشاء[٢١٣]، ويرى فلهوزن أن هشام كان ينظر إلى خالد كمنافس له، باعتباره من ملاك الأراضي الكبار كما هو[٢١٤]، ومن مظاهر حب هشام للمال أيضا تقرب الولاة إليه بالهدايا، ومن ذلك إرسال يوسف بن عمر إليه بياقوتة حمراء كبيرة الحجم، وحبة من أكبر اللؤلؤ حجماً، كانتا من أموال خالد القسري التي صودرت بعد عزله[٢١٥]، كذلك فقد أهدى حسان النبطي هشام هدايا كثيرة من الثياب والجواهر فباعها، ووضع ثمنها ببيت المال، وكانت خمسمائة ألف درهم، فعاد حسان لشرائها وإهدائها مرة أخرى لهشام، وبذلك حظي بمنزلة عنده حتى نودي: "إلا إن حسان سيد موالي أمير المؤمنين"[٢١٦]، وبعد العرض السابق لا بد من إعادة تقييم خلافة هشام ودوره في سقوط الخلافة.

تقييم خلافة هشام:

وردت معظم الروايات حول خلافة هشام وسياساته في كلٍ من البلاذري والطبري، وهما المصدران الأهم عن تاريخ الدولة الأموية، كما أن أغلبية المصادر التاريخية الأخرى عن هشام وخلافته لا تظهر تباينا كبيرا فيما بينها، بل على الأغلب تعطي صورة متقاربة عنه وعن خلافته، ومسألة أخرى يجب الإشارة إليها ألا وهي أن هشام ورغم تدينه ومحاربته للبدع[٢١٧]، فلم يشبه في سياسته عمر بن عبد العزيز، الذي اعتبر الدين مسؤولية نحو الناس، فالحكم برأي هشام سياسة أكثر منه ديناً، وهو سياسة مالية بالأخص، وهذا فارق كبير بينه وبين عمر، فعمر ما كان يهتم بالمال ولا بإغناء بيت المال، أما هشام فكان همه منصب على بيت المال، يود أن يكون مكتظا غنيا[٢١٨]، وجل اهتمامه النظر في دواوينه[٢١٩].

كما لم يظهر هشام كخليفة مبدع استطاع ابتكار حلول لقضايا ومشاكل الدولة المختلفة، كما فعل عمر بن عبد العزيز[٢٢٠] بقراره منع تحويل أرض الخراج لأرض عشرية ما عرف بالمدة[٢٢١]، كما لم يستطع أن يحافظ على سياسة ثابتة للدولة ما عدا أمر المال، وهذا ما أشار إليه المسعودي في مقارنته بين معاوية بن أبي سفيان والخلفاء من بعده، بالقول أنه لم يأت بعده (أي معاوية) من هو بقدراته السياسية المتميزة وحسن تعامله مع الناس: "وقد

(٢١١) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٧، أم حكيم: هي أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية.

(٢١٢) نبيه عاقل، تاريخ خلافة بني أمية، ص٣٠٩-٣١٠، خريسات، الدولة الأموية، ص٥١٥.

(٢١٣) البلاذري، انساب الأشراف، ج٩، ص٩٨- ٩٩، رواية الهيثم بن عدي، الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٤٣، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ٣٢٢، ٣٣٦، عبد الله الخطيب، الحكم الأموي في خراسان، ص١٣١.

(٢١٤) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ص ٣٣٦.

(٢١٥) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٨٠، رواية الهيثم بن عدي.

(٢١٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٨٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٢٠.

(٢١٧) العش، الدولة الأموية، ص٢٨٣.

(٢١٨) المرجع نفسه، ص٢٨٤.

(٢١٩) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٩١.

(٢٢٠) عبد الحليم عويس، بنو أمية بين السقوط والانتحار، ص٨٠.

(٢٢١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص١٩٩، ٢٠٠.

كان هم بأخلاقه جماعةٌ بعده مثل عبد الملك بن مروان وغيره فلم يدركوا حلمه، ولا إتقانه للسياسة، ولا التأني للأمور، ولا مداراته للناس على منازلهم، ورفقه بهم على طبقاتهم"[٢٢٢]، وهو ما أكده أيضا العش في عرضه لخلافة هشام بالقول أن هشام كان إداريا جيداً يدرس المسائل، حازماً ذا سيطرة، لكنه في الوقت نفسه لم يكن عبقريا، فلم يحاول إحداث أي شيء ينسب إليه، كما يرى أن سياسته لم تكن سياسة طويلة المدى، فقد اقتصر همه على الإدارة والمال، لا الابتكار والإبداع، وهو بهذا اختلف عن أبيه عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز[٢٢٣]، فلا تذكر المصادر له أي انجازات سياسة أو مالية كان لها الأثر الفاعل في الحفاظ على الدولة الأموية، وساهمت في الحفاظ على الدولة في مواجهة الأخطار المحدقة بها، بل على العكس من ذلك سياسته كانت تسعى للحفاظ على الهدوء النسبي في الدولة فقط.

كما يلاحظ أن بعض قرارات هشام حكمتها المزاجية والتأثر بالأقاويل، ومن ذلك عزله خالداً القسري عن العراق –كما ورد سابقا–، ومنها أيضا عزله سليمان بن سعيد الخشني، أو ابنه عن الديوان لأنه دخل عليه بكتب لعرضها عليه، – كما يروي المدائني– فطلب منه تأخيرها لأنه محموم، وناول يده له، وبعدما مس سليمان يد هشام قال: "ما أرى بك حمى"، فغضب هشام قائلاً له: "يا ابن اللخناء تكذبني، لا تقربني" وأمر بعزله عن الديوان[٢٢٤].

كما تلاحظ هذه المزاجية أيضا في تعامله مع الناس، وفي آرائه، من ذلك مروره بأعور فتشاءم منه وأمر بضربه فقال له الأعور: "إن شؤم الأعور على نفسه، والأحول شؤمه على الناس"[٢٢٥]، ومنها كذلك شتمه رجلا من أشراف الناس وهو غاضب فوبخه الرجل بقوله: "أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في الأرض"[٢٢٦]، ومن أمثلتها أيضا غضبه وطرده الشاعر أبا النجم (ت١٣٠هـ/٧٤٧م) من مجلسه، بعدما أنشده قصيدته اللامية التي شبه فيها الشمس بعين الأحول بقوله[٢٢٧]:

والشمس قد همت ولما تفعل
فهي على الأفق كعين الأحول

كما تبدو مزاجية آرائه في موقفه من شعر حسان بن ثابت الأنصاري والأنصار والذين يبدي لهم – كما يظهر– كرهاً واضحاً، فيورد البلاذري رواية عن المدائني وغيره، أنه كان يعلق على شعر حسان بن ثابت الأنصاري(ت٥٤هـ/٦٧٣م):

أتانا رسول الله لما تجهمت
له الأرض إذ يرميه كل مُفَوِّقِ

بقوله: "ما رأيت أحد أشد امتناناً على الله ورسوله من هؤلاء اليهود–يعني الأنصار"[٢٢٨].

الخاتمة:

تولى هشام بن عبد الملك الخلافة واتسمت خلافته بطابعها العام بالهدوء، إلا أنها عانت من مشكلات عدة كان لها الأثر الأكبر في الخلافة الأموية، وكان من أهمها اشتداد نار العصبية القبلية وانقسام الدولة إلى فريقين يمانية وقيسية، نتيجة سياسة هشام في التبديل بين الولاة بين يماني وقيسي، وتعصب كل طرف ضد الآخر، ونتيجة انتهاج الولاة الجدد سياسة تعذيب الولاة المعزولين، مما أدى لإضعاف الولاء للأمويين وحكمهم، وساهم في دفع قسم من الناس باتجاه الانضمام إلى المعارضة للحكم الأموي، وتأييد الدعوة العباسية، التي لاقت زمن هشام

(٢٢٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٤١.
(٢٢٣) العش، الدولة الأموية، ص٢٨٣.
(٢٢٤) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٧٩.
(٢٢٥) الآبي، نثر الدر، ج٧، ص١٣٥.
(٢٢٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٤، ص٢٤.
(٢٢٧) الذهبي، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٨٩، أبو النجم: هو الشاعر الفضل بن قدامة بن عبيد العجلي، انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٨، ص٣٥٠.
(٢٢٨) البلاذري، انساب الأشراف، ج٨، ص٣٨١.

مناخاً صالحاً لنشر دعوتها، دون أن يعترضها أي عائق مهم يمنع تقدمها وتطورها، فقد اقتصر الأمر على قتل وسجن عدد من دعاتها، لكن دون أن تواجه بتحرك مؤثر لمقاومتها والقضاء عليها، وخاصة في خراسان التي شكلت المركز الأهم لها.

وقد ساهمت عوامل أخرى في تقوية الدعوة العباسية، كان أهمها ثورة زيد بن علي، وما أعقبها من مقتل زيد بن علي وصلبه، كما كان لها دور كبيرٌ في استمالة الكثيرين للدعوة، وقد كان من أهم أسباب ثورة زيد سوء تصرف هشام بن عبد الملك معه، وإصرار هشام على إرساله إلى العراق متغاضيا عن طموحه بالخلافة، وقابلية أهل العراق للثورة، كما لم تتخذ الدولة الأموية أية إجراءات حازمة لإخراجه من العراق، فاستطاع أن ينشر دعوته في مناطق واسعة، وأن يجمع المؤيدين له ولثورته.

ولم تقتصر مشكلات الدولة الأموية زمن هشام على ما ورد سابقا، بل إن الخلل والتفسخ في الدولة تسلل إلى داخل الشام، مركز الدولة الأهم، ومخزن طاقتها، ومورد جندها، فقد غفل هشام عن تطور كثير من الأحداث بإقامته بالرصافة، فقد تسللت القدرية ودعوتها للشام، والتي لعبت دوراً كبيراً في نشر فكر مناهض للفكر الأموي القائم على الجبر، ولم يستطع هشام أن يتخذ موقفاً حازماً منها، إلا أن يقتل رأسي الدعوة غيلان وصالحاً، دون أن يوجه حملة سياسية وفكرية لمحاربة هذا الفكر الذي يقوض أهم دعائم شرعية الأمويين في الحكم، وخاصة أن القدرية شكلت العنصر الأهم في الثورة على الخليفة الوليد بن يزيد، والتي كان لهشام أيضا الدور الأبرز في إيجاد الأسباب والمبررات لها، وذلك من خلال تشويهه (أي هشام) المتعمد صورة الوليد أثناء خلافته، واتهامه بكثير من التهم، ونسبته إلى الكفر والزندقة والفسوق، حتى صارت هذه التهم الدافع الأهم، والحجة الأكبر لتبرير الثورة على الوليد وقتله، ما أدى بالنهاية إلى انهيار الخطاب السياسي الأموي، وإلى تفسخ البيت الأموي واشتعال الفتنة في الدولة، والتي أدت بالنهاية إلى سقوط الخلافة الأموية.

ولا يمكن إغفال دور خلافة هشام في إضعاف بنيان الدولة الأموية، فقد كان لطول خلافة هشام وعدم التفاته للتطورات والأحداث التي شهدتها الدولة، الدور الأهم في التداعي السريع للخلافة الأموية، إضافة إلى استقرار هشام بالرصافة وانشغاله بشؤونه الخاصة وتركه عاصمة الدولة دمشق، كما كان لتركه لقاء الناس ومتابعة قضاياهم المختلفة، واقتصار الأمر على فترة محدودة من العام، تاركاً شؤون الدولة للولاة والعمال، دون تدقيق في أعمالهم وتصرفاتهم، دور في تفاقم حالة السخط على الحكم الأموي في مختلف أنحاء الدولة.

كما لعب المال دورا مهما في خلافة هشام، فظهر على سياسته الاهتمام الكبير بجمع المال، حتى أصبح المال عاملا أساسيا في التأثير في خلافته، فاتجه إلى التجارة واحتكار بيع السلع بهدف الربح، فلعب المال دوراً في تعيين الولاة وعزلهم، من ذلك توليته الجنيد بن عبد الرحمن خراسان، وعزله خالداً القسري عن العراق، بعد خمس عشرة سنة من توليه، لحسده إياه على الأموال التي كانت له، كما كان المال وسيلة التقرب الأساسية إليه، كما فعل يوسف بن عمر وحسان النبطي، وهو بذلك لعب دورا في إضعاف أسس الدولة الأموية في اختيار الولاة[٢٢٩]، كما كان جمع المال الظاهرة الأساسية التي قامت عليها سياسة عمال هشام، التي أودت بالهدوء[٢٣٠].

(٢٢٩) بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص١٧٠.

(٢٣٠) العش، الدولة الأموية، ص٢٩٥.

لهذا فقد ساهمت سياسات هشام في خلافته بشكل غير مباشر في سقوط الخلافة الأموية، فلم يستطع هشام القضاء على كثير من مظاهر الاضطراب، بل كان أحيانا سببها، ولا يشير تفسخ البيت الأموي ثم انهيار الخلافة الأموية بهذه السرعة بعد وفاة هشام، إلا لكون خلافة هشام كانت حاضنة عوامل سقوط الخلافة الأموية، فلم يكن هشام على الرغم من الصورة المبهرة له في بعض المصادر، رجل سياسة عبقرياً بعيد النظر يستطيع تدارك مواطن الخلل.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

١. الآبي، منصور بن الحسين: نثر الدر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ،، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.

٢. ابن الأثير، علي بن مُحَمَّد: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: مُحَمَّد الدقاق، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

٣. الأزدي، يزيد بن مُحَمَّد: تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٧م.

٤. الأصفهاني، علي بن الحسين: مقاتل الطالبيين، تحقيق: أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

٥. البسوي، يعقوب بن سفيان: المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط١، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٩٩٠م.

٦. البلاذري، أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م.

٧. البلاذري، فتوح البلدان، نشره ووضع ملاحقه: صلاح الدين المنجد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م.

٨. ابن حبيب، مُحَمَّد بن حبيب: المحبر، اعتنى بالكتاب: إيلزة ليختن شتيتر، بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت.

٩. ابن خلكان، أحمد بن مُحَمَّد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.

١٠. ابن أبي خيثمة، أحمد بن أبي خيثمة: التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، السفر الثاني، القاهرة: دار الفاروق الحديثة، ٢٠٠٦م.

١١. ابن دريد، مُحَمَّد بن الحسن: جمهرة اللغة، ط١، حيدر آباد الدكن: مجلس دائرة المعارف،١٣٤٤هـ.

١٢. الذهبي، مُحَمَّد بن أحمد: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دراسة وتحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

١٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه

١٤. : شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.

١٥. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م.

١٦. أبو زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو: تاريخ أبي زرعة الدمشقي، وضع حواشيه: خليل منصور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

١٧. ابن سعد، مُحَمَّد بن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

١٨. الصفدي، خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط، تركي مصطفى، ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م.
١٩. ابن طباطبا، مُحَمَّد بن أحمد: الفخري الآداب السلطانية والدول الإسلامية، عني بنشره: محمود الكتبي، مصر: مطبعة الرحمانية، د.ت.
٢٠. الطبري، مُحَمَّد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م.
٢١. ابن عبد ربه، أحمد بن مُحَمَّد: العقد الفريد، تحقيق: مُحَمَّد سعيد العريان، دار الفكر، د.ت.
٢٢. ابن العديم، عمر بن احمد: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨م.
٢٣. ابن عساكر، علي بن الحسن: تاريخ دمشق، تحقيق: عمر بن عرامة العمروي، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م.
٢٤. العسكري، الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، تحقيق: مروان قباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٦م.
٢٥. الفريابي، جعفر بن مُحَمَّد: القدر، تحقيق: عبد الله المنصور، ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٩٩٧م.
٢٦. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م.
٢٧. ابن قتيبة (المنسوب إليه): الإمامة والسياسة، تحقيق: طه مُحَمَّد الزيني، مؤسسة الحلبي، ١٩٦٧م.
٢٨. الكتبي، مُحَمَّد بن شاكر: فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٧٤/١٩٧٣م.
٢٩. ابن كثير، إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م.
٣٠. المقدسي، مطهر بن طاهر: البدء والتاريخ، ج٦، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
٣١. المقريزي، أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
٣٢. المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، ج٣، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
٣٣. المسعودي: التنبيه والإشراف، عني بتصحيحه: عبد الله الصادق، المكتبة التاريخية، ١٩٣٨م.
٣٤. مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، بيروت: دار الطليعة.
٣٥. مؤلف مجهول: تاريخ الخلفاء، (مخطوط)، نشر وكتب المقدمة: بطرس غريازنتويج، موسكو: معهد الدراسات الشرقية، ١٩٦٧م.
٣٦. النديم، مُحَمَّد بن إسحاق: الفهرست، ضبطه: يوسف طويل، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.
٣٧. اليافعي، عبد الله بن أسعد: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل منصور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.
٣٨. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
٣٩. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

٤٠. اليعقوبي: البلدان، ط١، بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٩٨٨م.

٤١. Theophanes: The Chronicle, Byzantine and Near Eastern History, AD 284-813, Translated by: Cyril Mango, and Roger Scott, Clarendon: Oxford press, 1997, p557.

المراجع:

١. بطاينة، محمد ضيف الله: دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ط١، عمان: دار الفرقان، ١٩٩٩م.

٢. جب، هاملتون: دراسات في دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس وآخرون، ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

٣. خريسات، محمد: العصبية القبلية في صدر الإسلام، اربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، ٢٠٠٥م.

٤. خريسات، محمد عبد القادر: الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط، ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م، اربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، ٢٠٠٥م.

٥. الخطيب، عبد الله مهدي: الحكم الأموي في خراسان، ط١، بيروت: مؤسسة الأعلمي، بغداد: دار التربية، ١٩٧٥م.

٦. الدوري، عبد العزيز: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ط٢، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٣م.

٧. الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٨. زعرور، إبراهيم، وعلي أحمد: تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، دمشق: منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٥م.

٩. طلفاح، مضر: القدرية، جدلية الدين والسياسة في الإسلام، حركة يزيد بن الوليد انموذجا، اربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، ٢٠٠٤.

١٠. عاقل، نبيه: تاريخ خلافة بني أمية، ط٣، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٥م، ص٣١١.

١١. عبد اللطيف، عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م) دراسة سياسية، ط٤، الدمام: مكتبة المتنبي، ١٤٢٣هـ.

١٢. العزام، طارق: الخطاب الأموي، (٤٠-١٣٢هـ/٦٦٠-٧٥٠م)، رسالة دكتوراة، عمان: الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م.

١٣. العش، يوسف: الدولة الأموية، ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م.

١٤. عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول-القسم الأول، من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، ط٤، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٥. عويس، عبد الحليم: بنو أمية بين السقوط والانتحار، دراسة حول سقوط دولة بني أمية في الشرق، ط١، القاهرة: دار الصحوة، ١٩٨٧م.

١٦. فلهوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية، من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: حسين مؤنس، ط٢، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م.

١٧. مؤنس، حسين، فجر الأندلس، العصر الحديث، دار المناهل، ط١١، بيروت، ٢٠٠٢م.

Caliphate Hisham Bin Abdulmalik's Policy And Its Impact on The Fall of The Umayyad Caliphate

Abstract

The research aims at identifying and analyzing the role of Caliph Hisham Bin Abdulmalik's Policy and its impact on the Umayyads' rule, taking into account that his reign was immediately followed by the fall of the Umayyad Caliphate.

The research concluded that Umayyad Caliphate encountered serious problems during his time in spite of the apparent tranquility. The first of which was the extreme trible fanaticism in the state as a result of the policy of nominating walis (governors) and then the escalation of the Abbassid call which achieved great success especially in Khurasan. Moreover, Zeid Bin Ali's revolt and his killing had a role in promoting the power of the Abbassid call. The spread of the thoughts of Qadariyya sect opposing the Umayyad state, during Hisham's reign, had a role in Yazeed Bin AL-Waleed's revolt, against the caliph AL-Waleed Bin Yazeed, whose most important reason was the intentional action of deforming AL-Waleed Bin Yazeed's picture. All these occurrences had their serious effect on the Umayyad Caliphate, especially in light of Hisham's residence in AL-Rusafah and his engagement in private affairs and his abandoning the problems of the state and not trying to find solutions to overcome them. He was only interested in the financial affairs of the Caliphate, the fact which finally led to the weakening of the Umayyad Caliphate and then its collapse.

Key words: The Umayyad Caliphate, Hisham Bin Abdulmalik, The Fall of The Umayyad Caliphate, Zeid Bin Ali's revolt, The Abbassid call, AL-Waleed Bin Yazeed.